



كرامة الوطن والمواطن فوق كل اعتبار

# قاسيون

اسبوعية - 24 صفحة ● العدد «50» ل.س ● دمشق ص.ب «35033» ● تليفاكس «00963 11 3120598» ● بريد إلكتروني: general@kassioun.org

## حرائق الغابات السورية

[12]

### الافتتاحية

2254

### «إسقاط مشعلي الحروب»

ترافق ظهور المنظومة الرأسمالية وتطورها، مع الاستعمار التقليدي. والذي عبّر عن خاصية أساسية من خصائص النظام الرأسمالي، هي خاصية التوسع العدواني، والذي جاء محمولاً على العسكرة في معظم الأحوال التاريخية.

التوسع العدواني هذا، ليس مجرد نتاج لرغبات توسعية، كما يحلو للبعض تسطيح الأمور، بقدر ما هو حاجة وضرورة بالنسبة للدول الرأسمالية للخروج من أزمتها الخانقة؛ لأنّ التطور الطبيعي لرأس المال محكوم بميل معدل الربح للانخفاض، أي: كلما تطور رأس المال كلما انخفضت معدلات ربحه، وكلما لجأ بشكل متعاضم إلى ابتلاع حصة أكبر من الأجور، الأمر الذي يضعف الاستهلاك ويضعف بالتالي الإنتاج ويخرب كامل دورة رأس المال... وبالتالي يصبح رأس المال مضطراً لكسر حالة الاختناق التي يعيشها ضمن الحدود الوطنية عبر التوسع العدواني خارج الحدود... أي: إنّ أساس التوسعية العدوانية هو أزمتا اقتصادية-اجتماعية داخلية، قبل أي شيء آخر.

شهد القرن العشرين نمطاً خاصاً من أنماط التوسع، هو التوسع السوفييتي؛ الذي جاء توسعاً عبر نشر الأفكار ونشر النموذج، بل وعبر المساعدات أيضاً، خلافاً للتوسع الإمبريالي العدواني عبر العسكر والحروب والنهب الاقتصادي.

وفي عالم اليوم، تستمر الظواهر التوسعية والظواهر العدوانية، ولكنها تأخذ شكلاً تاريخياً جديداً؛ فأما العدوانية، والأمريكية خصوصاً، فإنها تتجلى كعدوانية لا في إطار التوسع، ولكن في إطار الانكفاء بالذات. بالمقابل، نرى توسعاً صينياً عالمياً، في إطار سلمي قائم على الربح المتبادل للأطراف المشاركة.

بين هذا وذاك، وبوصفهما الاتجاهين الأساسيين السائدين «أي: انتهاء التوسع العدواني، وظهور التوسع عبر النموذج»، تبرز في بعض الدول ظواهر توسع عدواني تقليدي. المثال الأبرز لذلك في منطقتنا هو: السلوك التركي، والذي تتمثل أداة التصدي الأساسية له، «كما كان الأمر في النصف الأول من القرن العشرين»، عبر «إسقاط مشعلي الحروب».

ولكن ضمن هذا المثال الملموس، ينبغي التأكيد على مسألتين:

أولاً: السلوك التركي، كما هو كل سلوك توسعي عدواني، يعكس في الجوهر أزمة داخلية عميقة، واقتصادية-اجتماعية بالدرجة الأولى، تجري محاولة تصديرها.

ثانياً: هناك كثيرون، ولأسباب سياسية مكشوفة على رأسها العمل ضد مسار أستانا، يبالغون في التهويل في حجم ومستقبل ظاهرة التوسع العدواني هذه. حقيقة الأمر أنّ عملية التوسع العدواني لتركيها أو غيرها هي عملية مسبوقة الأفق بالمعنى التاريخي؛ فإذا كان مركز التوسع العدواني محكوماً بالانكفاء، فكيف حال الأطراف؟ أضف إلى ذلك أنّ الطاقة الهائلة للقوى الصاعدة وعلى رأسها الصين وروسيا كقوة بتأريض وتكتيف النزعات العدوانية لدى تركيا، ولدى غيرها من الدول الإقليمية المدفوعة بأزماتها الداخلية أولاً، قبل المخيلة الجامحة لحكامها.

باختصار، إنّ الباب التاريخي أمام التوسع العدواني قد بات موصداً، وحلحلة الأزمات الإقليمية المختلفة بشكل سلمي وعبر الحوار وعبر القانون الدولي، هي بمثابة الشمع الأحمر فوق قفل ذلك الباب، وهي أداة خنق تلك العدوانية... وبما يخصنا، فإنّ التصدي الكلامي للعدوانية، والذي يأخذ شكل الشتائم المجانية في كثير من الأحيان، هو بالمحصلة من الطبيعة ذاتها، ولا يفعل سوى أنه يكرس تلك العدوانية، ويفتح لها هوامش إضافية للحركة وللهرب من مصيرها المحتوم... بالمقابل، فإنّ الطريقة الأكثر مضاءً في التصدي لهذه العدوانية وخنقها، وللعدوانية الأمريكية والغربية عموماً، هي التطبيق الفوري للقرار 2254، بما ينهي الأزمة السورية، ويفتح الباب أمام تحقيق الاستقرار وتعميمه في المنطقة، وبما يسهم كمحصلة في «إسقاط مشعلي الحروب» الداخليين والإقليميين، والدوليين، عبر إنهاء الهوامش التي يلعبون ضمنها.

#### شؤون عمالية



اللجنة الوطنية للأجور في ذمة التاريخ؟

03

#### ملف «سورية 2020»



من يحاول تقسيم سورية؟

08

#### شؤون محلية



أزمة البنزين.. لمن الكلمة والقول الفصل؟

14

#### شؤون عربية ودولية



روسيا وتركيا «شراكة تحتوي طبيعة إستراتيجية»

15

## عمال القطاع الخاص...

## وضرورة تغيير واقعهم؟



**العمل النقابي اتجه بمعظمه منذ عقود نحو عمال قطاع الدولة، الذين ازداد عددهم مع فورة التأميمات التي جرت في نهاية الخمسينات وبداية الستينات، وكذلك مع أموال المساعدات التي كانت ترد في السبعينات، وجملة المشاريع الإنتاجية والخدمية المنشأة بعد تلك المرحلة.**

الترتيبات الانتخابية الجديدة التي جرت، وحققهم في المساواة التامة مع عمال قطاع الدولة بما يتعلق بنهاية الخدمة والسكن العمالي والقروض من المصارف والخ. من القضايا.

## رؤية المتغيرات الجارية

إن الاستمرار في العمل النقابي على الطريقة الحالية نفسها، مع عدم رؤية المتغيرات الجارية، يعني خسارة جزء هام من قوى الطبقة العاملة لصالح القوى الرأسمالية، وبالتالي استمرار هذه القوى بالتحكم والسيطرة على مصالح العمال، وهذا لن يستمر طويلاً، مما يعني أن العمال سيبحثون عن الوسائل والأدوات التي تمكنهم من استرجاع حقوقهم كافة، ولنا في تجاربهم الإضرابية عبرة، وتوضح المال الذي ستنهب إليه الطبقة العاملة من أجل الدفاع عن حقوقها الاقتصادية والديمقراطية، بالرغم من محدوديتها، ولكنها تحوي قدراً مهماً من النجاح من أجل زيادة أجورهم وبعض الحقوق الأخرى، وسيرامك العمال خبراتهم ومعارفهم العملية بهذا الخصوص، متخطين كل المعوقات التنظيمية وغيرها ليحققوا مطالبهم المشروعة.

والاجتماعات النقابية على أهمية العمل مع عمال القطاع الخاص، وتم تشكيل لجان في اتحادات المحافظات، والقيام بزيارات لبعض المواقع الإنتاجية الخاصة، من أجل شد العمال إلى المظلة النقابية، ولكن هناك ممانعة ضمنية من داخل الحركة النقابية - تتعلق بالخبرة والتجربة للعمل في هذا القطاع - ومن خارجها، وهو الأمر المتعلق بأرباب العمل وضغوطهم من أجل إعاقة أي عمل جدي يتكون داخل منشاتهم الإنتاجية، بسبب تخوفهم من احتمالات أن يتحرك العمال من أجل مطالبهم وحقوقهم.

التوجه الفعلي بهذا الخصوص كان يتطلب موقفاً سياسياً وطبقياً من القيادة النقابية، وخبرة ودراية ومعرفة علمية بهذا الواقع، مع مجموعة من الخطوات التي تتفق العمال بأهمية انتسابهم للنقابات، وبأنها تمثل مصالحهم، ويأتي في مقدمتها: حقهم في الدفاع عن حقوقهم دون مساءلة، وعبر أشكال مختلفة، منها: حقهم بالإضراب والاعتصام السلميين، وهذا ما لم تتبناه - إلى الآن - الحركة النقابية، وحقهم في التمثيل ضمن الأطر النقابية المختلفة، بما يتوافق مع وزنهم الفعلي في الطبقة العاملة، وهذا ما لم يتوفر حتى في

عمالاً ومهندسين يديرونها على مستوى من الخبرة والكفاءة، ويقدر عددهم في هذه المدن الصناعية بعشرات الآلاف. تفاقمت مشكلة عمال القطاع الخاص مع اشتداد الهجوم على حقوقهم وتغييب مطالبهم بصور قانون العمل رقم 17 لعام 2010، هذا القانون الذي صدر برغم التحفظات على الكثير من مواد من قبل النقابات، ولكنه صدر بالصيغة التي طرحها ممثلو الليبرالية الاقتصادية في الحكومة، وهو مُعبر من الناحية القانونية - وبالتالي السياسية والاقتصادية - عن أعمق المصالح للقوى الرأسمالية العاملة في الاقتصاد السوري، سواء في جهاز الدولة أو خارجها.

## أزمة كورونا

يزداد واقع عمال القطاع الخاص سوءاً مع وجود عوامل جديدة دخلت على خط تأزيم أوضاع العمال لجهة حقوقهم ومستوى معيشتهم، مثل: أزمة كورونا وأزمة صرف الدولار والحصار الجائر، التي أثرت بشكل كبير على الصناعة وعلى استمرارية العمال في عملهم، ومع هذا لم يجر داخل النقابات عمل جدي باتجاه هذا الواقع المأساوي المعاش، وبالرغم من التأكيد في المؤتمرات

## عادل ياسين

مع ورود المساعدات الضخمة بعد حرب تشرين جرى إنشاء العديد من الصناعات ومشاريع الخدمات، وأخذ العمل النقابي يركز جهوده في هذه القطاعات لاعتبارات كثيرة، منها ما هو سياسي، والآخر متعلق بالوزن الفعلي للطبقة العاملة في قطاع الدولة، الذي تضخم بشكل كبير، بينما الشق الآخر، القطاع الخاص، لم يكن له وزن حقيقي من حيث عدد المنشآت وعدد العمال، أي: كان هامشياً من حيث نوع الصناعة والتكنولوجيا المستخدمة فيها إلى حين صدور قانون الاستثمار رقم 10 الذي أعطى القطاع الخاص شرعية الاستثمار في كل المجالات. بدأ القطاع الخاص الاستثمار الفعلي في جوانب اقتصادية متنوعة، أي: بدأ مركز الثقل يتحول شيئاً فشيئاً بهذا الاتجاه، ولكن مع هذا التحول لم تتمكن النقابات من رؤية ذلك الجديد الجاري في واقع عمال القطاع الخاص، من حيث العدد والتوصيف المهني ومستوى التعليم والاختصاصات الجديدة مع الصناعات الجديدة، خاصة في المدن الصناعية التي تضم بين جنباتها العديد من الصناعات الحديثة، التي تتطلب

## بصراحة

محمد عادل اللحام



## لقمة العمال في مهب الريح!

تعاني الطبقة العاملة السورية تاريخياً - وتفاقمت المعاناة بشدتها الواضحة منذ أن تبنت الحكومات المتعاقبة السياسات الاقتصادية الليبرالية - بالهجوم على مكتسباتها وحقوقها الاجتماعية، وتستمر بقضم ما تبقى من هذه الحقوق، تماشياً مع مصالح الناهيين الكبار والمراكز المالية الرأسمالية الدولية، والتي يأتي في مقدمتها: الهجوم المستمر على الأجور من خلال زيادة الأسعار على السلع الضرورية في حياة العباد، واضعين العمال في ظروف وحالة من عدم القدرة في الدفاع عن حقوقهم ومكاسبهم، نتيجة الظروف التي تحيط بالطبقة العاملة السورية الاقتصادية والسياسية، وفقدانها الحق بالحريات الديمقراطية، ومنها: الإضراب كأحد أهم أدواتها.

عمال القطاع الخاص، هذه الشريحة المهمشة من الطبقة العاملة، والمنسية حقوقها، عندما تلتقي مع أي عامل منها، تعصف المطالب بالجملة، فمن ضعف الرواتب والأجور الهزيلة، إلى هضم الحقوق والمكتسبات، ويزاد عليها الافتقار إلى عقود عمل واضحة وموثقة لدى وزارة العمل، إضافة إلى حرمانهم من مظلة التأميمات الاجتماعية، وغياب التنظيم النقابي، وكل هذه المطالب تبقى صعبة المنال في ظل تعسف بعض أرباب العمل، ولجوء بعضهم إلى وضع سيف الترسيع على رقاب عمالهم ساعة يرغبون بذلك.

إن هذا النهج الاقتصادي بمقدماته ونتائجه، أدى إلى تفاقم الأزمات الكبرى، ومنها: الفقر وانخفاض مستوى المعيشة، حيث انعكست هذه الأزمات بشكل واضح على مستوى معيشة الطبقة العاملة السورية بشكل عام، وجعلت العمال يئنون تحت وطأة الفقر والحاجة، إن هذا الوضع العام الكارثي الذي تعيشه الطبقة العاملة السورية، والتي أوصلتها إليه السياسات الحكومية، حيث تصب ضمن هدف معين واتجاه واحد، وهو إضعاف الاقتصاد الوطني ووضعه تحت رحمة وقيادة قوى السوق، والأما ماذا تعني إعاقة شركات القطاع العام عن الإنتاج؟ وماذا تعني مشاركتها؟ وماذا يعني طرح جزء من الشركات أمام القطاع الخاص المحلي والأجنبي للاستثمار أو التشارك؟ إن زيادة الأجور الآن ضرورة ملحة ومطلب وطني عاجل، وزيادة الأجور زيادة مجزية متناسبة مع ارتفاع الأسعار وغلاء المعيشة، وإن التأخر في هذه الزيادة يعني مزيداً من الإفقار، ومزيداً من تسلط وتحكم أرباب العمل بصير الملايين من العمال.

الطبقة العاملة هي المنتجة للخيرات الرئيسية في المجتمع، وهذه الأجور الهزيلة هي تبيد لوقتها وجهدها وطاقاتها وللثروة الوطنية، وستجعل العمال يبحثون عن حلول لوضعها، ولكن بطريقتهم الخاصة التي لا تروق للكثيرين ممن يتحكمون بلقمة العمال وكلمتهم.

# اللجنة الوطنية للأجور في ذمة التاريخ؟



نصت المادة 69 من قانون العمل رقم 17 لعام 2010 على تشكيل لجنة تسمى «اللجنة الوطنية للأجور» وتشكل بقرار من رئيس مجلس الوزراء، وتضم كلاً من وزير الشؤون الاجتماعية والعمل، ووزير المالية، ووزير الاقتصاد والتجارة، ورئيس اتحاد نقابات العمال، ورئيس اتحاد غرف التجارة، ورئيس اتحاد غرف السياحة، ورئيس اتحاد غرف الصناعة، ونقيب مقاولي الإنشاءات، ورئيس اتحاد الجمعيات الحرفية.

## صديق، لطفي

على أن تجتمع اللجنة بدعوة من رئيس مجلس الوزراء في حالتيه، الأولى: بدورة عادية في الأسبوع الأول من شهر أيار من كل عام. والثانية: بصورة استثنائية بناء على طلب من أغلبية أعضاء اللجنة. وحددت المادة 70 من القانون نفسه وظائف هذه اللجنة، حيث تكون مهمتها وضع الحد الأدنى العام للأجور، وإعادة النظر فيه للعاملين المشمولين بأحكام هذه القانون، وتراعي هذه اللجنة في أداء مهمتها الأزمات الاقتصادية، وهبوط النقد وسعر صرف العملة الوطنية والقوة الشرائية والمستوى العام للأسعار، وغيرها من المتغيرات الاقتصادية. سنناقش أولاً، قانونياً تشكيلة هذه اللجنة، هل أخذت بالتمثيل الثلاثي لمنظمات أرباب العمل والعمال؟ فاللجنة فيها مندوب واحد عن العمال وهو رئيس اتحاد نقابات العمال، والباقي من منظمات أرباب العمل، وممثلي الحكومة ضمن أطراف الإنتاج الثلاثة التي حددتها منظمة العمل الدولية، وتتخذ قراراتها بالأغلبية المطلقة، والرئيس صوت مرجح عند تساوي الأصوات، أي:

تحول دون فاعليتهم تجاه المطالبة بحقوقهم والدفاع عن مصالحهم، بينما الطرف الآخر، أرباب العمل والحكومة أكثر تنظيماً وفاعلية في تأمين مصالحهم وتأمين أرباحهم، مسنودين بمواقفهم المؤثرة في القرارات النهائية، التي تؤمن عملية الاستغلال والنهب عالي المستوى لما ينتجه العمال. العمال لن ينتظروا طويلاً الإجراءات الشكلية في انعقاد هذه اللجنة أو عدم انعقادها، وسيقررون في النهاية شكل ومضمون حراكهم الذي سيؤمن لهم حقوقهم، وهذا المال الذي سيختاره العمال هو قانون الصراع بين الناهبين والمنهوبين.

عدم انعقاد جلسات اللجنة مع أن حجم التطورات في الواقع المعيشي للعمال كبير من حيث السوء، وحجم التطورات الداعية لانعقاد اللجنة أيضاً كبير، ولكن الموضوع لا يتعلق بالشكل الإجرائي لكي تعقد اللجنة جلساتها وتتصف العمال في حقوقهم، ولكن الموضوع متعلق بموازين القوى على الأرض. وهذه الموازين هي من تقرر القرار النهائي فيما يتعلق بمختلف القضايا المتعلقة بحقوق العمال ومصالحهم، فالعمال أصبحوا الحلقة الأضعف في ميزان القوى، ليس من حيث العدد، وإنما من حيث القدرة على تنظيم قواهم المقيدة بعشرات القيود التي

صدور القانون رقم 17 لعام 2010 ولم يقر رئيس مجلس الوزراء بتشكيل هذه اللجنة أساساً، وما زالت حبراً على ورق، بالرغم من هبوط سعر الصرف وضعف القوة الشرائية لليرة السورية نتيجة ارتفاع سعر صرف الدولار، وما رافقه من تدني مستوى معيشة العمال خلال سنوات الأزمة، وانهيار أجورهم التي باتت لا تلبى أدنى الاحتياجات الأساسية للمواطن، كل هذا ولم تررئاسة مجلس الوزراء أن الوقت قد حان لتشكيل هذه اللجنة وإطلاق عملها على أرض الواقع. وكما نعتقه، فإن النقابات تتحمل جزءاً من المسؤولية التي

عملياً جرى تغييب صوت مندوب العمال، حيث الغالبية واضحة لأرباب العمل والحكومة، ومن المستحيل أن تصدر قرارات لصالح الطبقة العاملة، باعتبار أن الحكومة ومن خلال سياساتها الليبرالية المحددة لنهجها الاقتصادي المنحاز كلياً لقوى رأس المال، ستكون نتائج التصويت على القرارات ليست في صالح الطبقة العاملة، وخاصة إذا ما كانت المواضيع المطروحة للنقاش تتعلق بزيادة الأجور والتعويضات للعمال، كما نص القانون 17، القاضي بإحداث هذه اللجنة. ومع ذلك، وبالتمثيل المشوه للعمال، لم تنطلق أعمال هذه اللجنة منذ

## الطبقة العاملة



### لبنان- يوم الغضب

شارك الآلاف من المحتجين في أنحاء لبنان، يوم 14 تشرين الأول، في فعاليات وتظاهرات تحت مسمى «يوم الغضب والرفض» استنكاراً للأوضاع الاقتصادية المتردية، ورفضاً لتوجه الحكومة نحو رفع الدعم عن السلع الأساسية. وانطلقت المظاهرات في مناطق متفرقة من العاصمة بيروت، ومناطق شمال وجنوب ووسط لبنان، استجابة لدعوة أطلقها الاتحاد العمالي العام «يضم ممثلين عن كافة النقابات العمالية». وشملت المظاهرات والإضرابات العديد من القطاعات كالمصارف والمياه والكهرباء والسائقين والمشافي إلخ. والجدير ذكره، أن مصرف لبنان يتجه إلى رفع الدعم عن السلع الأساسية «القمح والمشتقات النفطية والأدوية» التي يستوردها من الخارج، بسبب انخفاض احتياطي المصرف من العملات الأجنبية.



### المغرب- تقييد العمل النقابي

نظم عمال شركة متخصصة في البلاستيك، يوم 15 تشرين الأول في مراكش، وقفة احتجاج على التضييق على العمل النقابي، وغياب ما وصفوه بالحوار المسؤول والبناء وثقافة العمل المشترك. وصرح نائب الكاتب المحلي للمكتب النقابي في هذه الشركة: «قررنا حوض إضراب من يومين للمطالبة بعدة حقوق حُرمتنا منها»، والوقوف الاحتجاجية الإنذارية التي خضناها اليوم جاءت لتنبية الإدارة إلى أن العمال فقدوا الثقة وسموا من سياسة التسوييف والترهيب التي تنتهجها الشركة. وأوضح المتحدث نفسه: أن العمال يشكون من غياب شروط السلامة الصحية، مشيراً إلى أن قرارات اللجنة المعنية بذلك تبقى حبراً على الورق، إذ لا يُسمح لممثلي العمال بالتوقيع على محاضر.



### السودان- موظفو المصارف

لوح موظفو مصرفي الادخار والتنمية الاجتماعية، والمزارع التجاري، يوم 14 تشرين الأول بالتصعيد والدخول في إضراب عن العمل الأسبوع القادم، لعدم استجابة إدارة المصرفيين لمطالبهم، حيث قالت اللجنة التسييرية لمصرف الادخار والتنمية الاجتماعية: إنها ستصعد نشاطاتها عبر الوسائل السلمية، عقب انتهاء المهلة المحددة من قبل اللجنة الإدارية لتنفيذ مطالب الموظفين، وذلك بالدخول في الإضراب الشامل ابتداء من الأحد 18 تشرين الأول الحالي، وينتهي بنهاية عمل يوم الاثنين 19 تشرين الأول. وأضافت: إنها اتخذت هذه الخطوات التصعيدية، عقب تدهور الأحوال الاقتصادية، والزيادات الكبيرة في أسعار السلع الاستهلاكية وزيادة معدل التضخم، موضحة أنها تقدمت بمطالب تتعلق بزيادة الأجور بواقع 150%.



### ألمانيا- إضراب قطاع النقل

شهدت ألمانيا شلاً تاماً في حركة المرور بعد تنظيم عمال قطاع النقل إضراباً تحذيرياً، يوم 9 تشرين الأول، في ولايات برلين وبراندنبورج وبافاريا. وتوقف الموظفون عن العمل، في ولاية براندنبورج، منذ بداية الدوام حتى ظهر اليوم، كما توقفت بعض خطوط الحافلات عن الخدمة في ميونخ منذ بداية التشغيل في الثالثة والنصف فجراً. وتسعى نقابة «فيردي» للعاملين في قطاع الخدمات عبر هذه الإضرابات إلى الضغط على أرباب العمل في المفاوضات لزيادة رواتب 2,3 مليون عامل في قطاع النقل على المستوى الاتحادي، والمحلي، بنسبة 4,8% وبما لا يقل عن 150 يورو شهرياً.

# ميثاق أثينا



تأسس الاتحاد العالمي للنقابات في الثالث من شهر تشرين الأول لعام 1945 عقب هزيمة الفاشية مع انتهاء الحرب العالمية الثانية، وخلال هذه السنوات كان الاتحاد العالمي للنقابات العمال، كمنظمة تلعب دوراً هاماً ضد الإمبريالية ومحاولة هيمنتها على شعوب العالم، إضافة إلى وقوفها إلى جانب الطبقة العاملة في الكفاح ضد الاستغلال الرأسمالي.

## ■ نبيك عكام

الإضراب، أو أي شكل من أشكال الاحتجاج، من أجل إبقاء رواتب العمال متدنية. أكد الميثاق على أن الأزمة الاقتصادية للرأسمالية مستمرة رغم التقارير المقدمة من المؤسسات الرأسمالية التي تشير إلى الانتعاش، وهذا ما تؤكدته الخلافات السياسية الاقتصادية بين مراكز رأس المال، وعدم قدرتها على حل التناقضات المتأصلة في النظام الرأسمالي، وفيما بين بعضها البعض، فالبيانات تدل على عمق الأزمة الحالية في بنية الرأسمالية، وخاصة من خلال تزايد العجز التجاري المستمر للدولار الأمريكي ولكل مراكز رأس المال بما فيها اليابان. فعلى سبيل المثال: من المتوقع أن يصل إلى أكثر من 1,6/ تريليون دولار أي، ما يعادل 11% من الناتج المحلي الإجمالي في الولايات المتحدة، وقدر مجموع الديون بما يقارب بـ 12/ تريليون دولار أمريكي أي، ما يعادل 68% من الناتج الإجمالي الأمريكي، كذلك أوروبا ليست بأحسن حالاً من المركز والأطراف الأخرى. حيث يعاني النظام الألماني الذي يعتبر الطاقة المحركة للاقتصاد الرأسمالي الأوروبي من ارتفاع نسبة الدين الحكومي إلى 60% من الناتج المحلي الإجمالي، وفي اليابان وصل الدين العام إلى ضعف الناتج المحلي الإجمالي لهذه القوى الإمبريالية الكبيرة أيضاً. تحاول هذه المراكز الرأسمالية إخفاء الطبيعة الطبقيّة لهذه الأزمة البنيوية، واعتبارها مشكلة داخلية تتطلب كل الجهود من جميع أعضاء المجتمع.

يؤكد الميثاق على «أن رأس المال دوماً يحاول إخراج نفسه من الأزمة وتحميل أعبائها للغير وإلقاءها على عاتق الطبقة العاملة، والطبقات الشعبية الفقيرة الأخرى». ويتم ذلك من

يعتبر ميثاق أثينا الذي صدر عن المؤتمر السادس عشر لاتحاد نقابات العمال العالمي في نيسان من عام 2011، من أهم الوثائق، حيث كان الشعار الأساس لهذا المؤتمر والميثاق هو «أيها العمال ثوروا ضد الرأسمالية الهمجية من أجل تحقيق العدالة الاجتماعية وعالم خالٍ من الاستغلال».

## عواقب الأزمة العالمية على العمال

تحدث الميثاق في الفصل الأول عن الأزمة الرأسمالية العالمية المستمرة وعواقبها على الطبقة العاملة والشعوب، حيث أكد الميثاق: أن النظام الرأسمالي العالمي يعيش في أزمة اقتصادية عميقة ومتعددة الجوانب، منها: ارتفاع نسبة البطالة، وتراجع الناتج المحلي الإجمالي والتجارة العالمية الذي ينتج عنهما فقر متزايد لملايين من البشر على هذه البسيطة، وخاصة في الاقتصاديات النامية. وبيّن أن على أي تنظيم نقابي يحترم نفسه، والعمال الذين يمثلهم في أي ظرف، لا بد أن يتبنى الاستنتاجات التي توصل إليها المفكر الكبير للطبقة العاملة كارل ماركس، حيث اكتشف من خلال أعماله «أن الأزمة الاقتصادية تفضح التناقض الأساس للرأسمالية بين الطابع الاجتماعي للإنتاج، والشكل الرأسمالي لمليكة وسائل الإنتاج»، واستمرار هذه الأزمة ما زال ينتج عنها المزيد من البطالة والفقر وفقدان العمل نتيجة انعدام الوظائف، وقال الميثاق: «البطالة هي ظاهرة اجتماعية متأصلة في الرأسمالية»، والعمال العاطلون عن العمل يستخدمون من قبل رأس المال في العديد من القضايا، كأداة لكسر

خلال الارتفاع الكبير في معدلات البطالة، وانخفاض الدخل للطبقة العاملة، وتخفيض ميزانيات الإنفاق الاجتماعي الى ما دون الحدود الدنيا أو الغائها كالصحة وغيرها، ورفع سن التقاعد كما حاولت فرنسا منذ فترة قريبة، إن هذه الوقائع وغيرها تظهر مدى «تطفل وتحلل النظام الرأسمالي». أما الانتعاش الهش في منطقة الدولار الأمريكي ومنطقة اليورو، فيعود إلى دعم الدولة الرئيس للشركات الرأسمالية، وهو لا يمكن أن يستمر لفترة طويلة، وهذا ما يفسر لنا الخلافات بين المراكز وفي المركز الرئيس حول السياسات التي يجب أن تتبع الانكفاء أو زيادة توسيع رفح الحرب والتوترات، وهذه الخلافات بين الطبقة المسيطرة يعتبرها الميثاق وجيهين لعملة واحدة، فهي لا تستطيع أن تزيل التناقضات المتأصلة في النظام الرأسمالي، ولن تقدم التنازلات إلا بانتصارات تحققها الطبقة العاملة. في المقلب الآخر، تواجه الطبقة العاملة عبر العالم ارتفاعاً في معدلات البطالة وغلاء في أسعار الحاجات الأساسية للطبقة العاملة، وكذلك أيضاً تعاني انخفاضاً في الخدمات الاجتماعية كالتهذيب، والرعاية الصحية، الاجتماعية، وفقدان الممتلكات كالمنازل وغيرها، بسبب الديون المستحقة للمصارف، فإن الرأسمالية تكشف عن وجهها الحقيقي ليس فقط في البلدان النامية فقط، وإنما أيضاً في المراكز الإمبريالية. وقدر عدد العاطلين عن العمل في الولايات المتحدة بـ 30 مليون أمريكي أي: ما يقارب 20% من مجموع القوى العاملة، وفي أوروبا تجاوز معدل البطالة نسبة 20%، كما ازداد عدد الجوع والفقر في العالم الذين لا يمكنهم الحصول على حاجاتهم الأساسية وخاصة في العالم الثالث.

## الأزمة والحركة النقابية

يؤكد الميثاق على أن الحركة النقابية الطبقيّة وحركة الطبقة العاملة يجب أن يعمل على إنشاء جبهة أيديولوجية قوية مقاومة لتلك

القوى التي تدعي العقلانية، وتعمل على تضليل العمال فيما يخص أسباب الأزمة وآليات وطرق الخروج منها، وتقوم بتحطيم عزيمية الطبقة العاملة حتى لا تدرك بأن خلاصها لا يمكن إلا بسقوط الرأسمالية، والنضال هو الطريق الوحيد لإسقاط هذا النظام الرأسمالي بشكل كامل، لقد لعبت الاتحادات النقابية الإصلاحية والمهادنة للأنظمة الحاكمة دوراً في إضعاف الحركة النقابية وجماهيريتها، من خلال تثبيت فكرة التعاون أو التشارك مع الأنظمة والحكومات، وعدم تبنيها الأساليب الكفاحية المختلفة من إضرابات ومظاهرات وغيرها من هذه الأساليب الكفاحية، وتحولت هذه الاتحادات النقابية إلى هياكل بيروقراطية، وتدعم أرباب العمل في إخماد كل صوت مقاوم يطالب بحقوقه، وبالنتيجة، هم مساهمون في تفشي الفساد وزيادته في بلدانهم، وخاصة عندما لا تكون الأجور هي من أولويتهم، ويتركون العمال يواجهون أرباب العمل وجعهم خالية من السهام، وغير قادرين على مواجهة الهجوم الرأسمالي الشامل على حقوقهم، وإن مثل هذه الاتحادات متواجدة في اليونان، والدانمارك، وبريطانيا وإسبانيا وألمانيا، وفي دول العالم الثالث، مثل: مصر والمغرب وسورية وغيرها من البلدان الأخرى الشبيهة. ما نود أن نقوله حول ميثاق أثينا وهو يبحث بشكل موسع القضايا المتعلقة بوضع الطبقة العاملة ونضالاتها على ضوء أزمة الرأسمالية العميقة، بمختلف جوانبها الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، متسلحاً هذا التقرير بأرقام تعكس الأزمة الرأسمالية والاحتمالات الذاهبة إليها، وهي أرقام أصبحت قديمة، حيث تضاعفت الأرقام المعلنة بالتقرير عن لحظة كتابته في عام 2011، وهذا يعزز رؤية اتحاد النقابات العالمي في تحليله لطبيعة الأزمة الرأسمالية، وبالتالي، موقف الطبقة العاملة في الرد على النهب العالمي من قبل الدول والرأسماليين، وأن الطبقة العاملة خيارها الوحيد هو: المواجهة، وهذا ما يجري الآن.

الشعار الأساس لهذا المؤتمر والميثاق «أيها العمال ثوروا ضد الرأسمالية الهمجية من أجل تحقيق العدالة الاجتماعية وعالم خالٍ من الاستغلال»

# العادة بالبدن ما يغيرها غير الكفن..

سؤال يخطر بالبال: معقول الشذوذ اللي فرضوه على حياتنا خلال السنين الماضية ولها يصير مشروع بحكم الاستمرار والعادة؟



## سوسن عجيب

يعني مثلاً: قصة الرواتب والأجور الشاذة.. اللي ما بتنزل لا بميزان ولا بقبان.. ما عاد حدا جاب سيرتها من الرسميين، والحكي عم يصير ع الدعم والتعويضات وبس.. ورغم هيك ع بلا طعمة، يعني: لا الدعم دعم ولا التعويضات تعويضات.. بالوقت اللي الكل بيعرف أنو المشكلة بالأجور اللي لازم تكون مرتبطة دائماً مع الأسعار.. بس صار هاد الحكي من المنسيات بحكم العادة.. مثل ما صارت الأجور الشاذة مسكوت عنها وكأنها طبيعية بحكم العادة كمان!

وقصة بيوت المخالفات والعشوائيات سوبر طبيعية.. وصارت بحكم مرور الزمن الطويل عادية ومقنونة كمان.. فوقها استغلال وطمع لأن أصل المشكلة التاريخية أنو ما في مخططات تنظيمية، ولا في مشاريع سكن مثل الخلق والناس.. يعني شذوذ مركب ع بعضو البعض..

وخلال السنين الماضية فرضوا علينا طواير السكر والرز.. وقبلها ع الزيت والشاي والسمنة والمحارم.. مثل ما فرضوا طواير الخبز الطويلة وطواير الغاز والمازوت والبنزين.. يعني: صارت الطواير شي طبيعي بحياتنا رغم أنها شاذة.. والشاذ أكثر أنها تعممت ع كل شي تقريباً..

لك صار شي عادي يضيع جهدنا ووقتنا

وحقوقنا وحياتنا برغم أنو كتيبيير شاذ.. والأكثر شذوذاً هو أنو في مين اتعود ينتهك حقوقنا ويستتهن بوقتنا المهدور.. والأكثر من هيك في شي بهاد المجال تقون وتشرعن.. مثل موضوع البطاقة الذكية اللي دخلت ع تفاصيل حاجاتنا وصرنا بدنا رضاها هي واللي مشغلينها لترضى علينا.. يعني غصب عنا صار لازم نستهلك عدد أرغفة محدد.. وغصب عنا بدنا ننتظر رسالة الغاز ولو طال هاد الانتظار أكثر من شهرين.. وهيك ماشي التعدي ع حقوقنا واعتادوا عليه..

وكمان اعتادوا ع رفع الأسعار بطعمة وبلا طعمة وبمبرر ولا بدون.. يعني كثير طبيعي أنو يتبدل السعر بين الساعة والثانية، أو بين محل والثاني.. أو انو يصير الغش منتشر وعادي.. وكثير طبيعي أنو جماعة التموين مثلاً يعملوا حالهم مو دريانيين أو مطمئنين.. كمان كثير طبيعي أنو نبلع ساعات التقنين بالكهربا والمي.. برغم أنهم بياخدو حقها مناع دور بارة مع كل الرسوم اللي اسمها اشترك وضرية استهلاك والذي منو.. يعني القصة ع بعضها شذوذ بشذوذ ومع هيك ماشية الأمور ع السبھلي.. والهاتف والنت مو أنظم.. كلو ملحق بعضو بالشذوذ.. برغم سوء كل هي الخدمات..

وشو بدنا نحكي ع سوء النقل والمواصلات بالبلد.. والزحمة والتدفيش والمطاحشة.. ولا

وفرضوها علينا.. أما ع المستوى الرسمي فكمان اعتادوا ع الوعود غير المنفذة.. مثل ما اعتادوا ع تزييف الحقائق والوقائع.. والطناش ع كل شي.. مختصر مفيد: الشذوذ مو مخلي شي يعتب عليه بالبلد.. وبحكم طول المدة والتكرار والاستمرار صار كأنو طبيعي واعتاد عليه المستفيدون منو طبعاً.. ناهيون وفاسدون وتجار حرب وأزمة.. يعني كل الكبار.. بس بيبقى شاذ.. والشاذ بدو تقويم.. وع قولة المثل: «العادة بالبدن ما يغيرها غير الكفن».. عرفتوا كيف؟!

ع الشوارع المحفرة.. ولا ع اضطرارنا نمشي فيها بدل الأرصفة اللي صار كثير طبيعي أنها تكون محتلة من السيارات، أو من المحلات والمطاعم والبسطات.. يعني الشذوذ ضارب أطنابو ع كل المستويات.. لك حتى حقنا بشي اسمو مرافق عامة مثل الحدائق والغابات والشواطئ صار بخبر كان.. واعتادوا أنو كل سنة في خسائر بالمواسم بيحصو نتائجها لحسابهم.. هاد غير أنو صار مسلسل الحرائق السنوي كثير طبيعي.. وأبدأ ما عاد فيه مفاجأة.. وفوق كل هاد مو ممكن ننسى المحسوبة والوساطة والنطوطة على القوانين والتعليمات وتجاوزها.. اللي تعودوا عليها

**الشذوذ مو مخلي شي يعتب عليه بالبلد.. وبحكم طول المدة والتكرار والاستمرار صار كأنو طبيعي واعتاد عليه المستفيدون منو طبعاً..**

## حي التضامن.. إجراءات مبسطة ولكن!



### سمير العلي

بالقابل، يقول البعض من أصحاب البيوت: إن الموافقات تتأخر بالصور، ومنهم من ينتظر منذ أكثر من شهر حتى الآن، أي: منذ الإعلان عن بدء استلام الوثائق المطلوبة.

أما الخطوة التالية، بعد صدور اللوائح الاسمية والاستلام، فتتمثل بالنسبة للراغبين في إجراء عمليات الترميم الضرورية لبيوتهم، بالتقدم بطلب إلى بلدية الميدان من أجل الحصول على الموافقة اللازمة لإدخال مواد البناء المطلوبة للترميم، وهذا الأمر متاح ليوم واحد في الأسبوع فقط، ولكم أن تتخيلوا ما سيواجه هؤلاء من صعوبات من أجل الحصول على هذه الموافقة، خاصة وأن غالبية البيوت بحاجة للترميم، طبعاً باستثناء المتهدم منها بشكل نهائي، ولا ننسى بهذا الصدد أن الموافقة اللازمة من البلدية قد تحتاج لإبراء الذمة من «الكهرباء والمياه والهاتف و..» وذلك بحسب ما أفاد به البعض.

### تعا ولا تجي!

الإجراءات والوثائق أعلاه قد تكون ضرورية للتثبت من الملكية، ومع ذلك هناك الكثير من الحالات الاستثنائية التي تحول دون تأمين بعض الوثائق المطلوبة السابقة، وهي حالات ليست قليلة، بعضها معقد، وبالتالي، فإن البعض لن يتمكن من العودة والاستقرار في بيته الذي كان مقيماً فيه قبل اضطرابه لهجرانه والزواج عنه. ومع ذلك فقد بدأت تصدر بعض اللوائح الاسمية المتضمنة أسماء من تمت الموافقة على استلامهم بيوتهم في الحي تباعاً، وتبعها البدء بإجراءات عمليات التسليم للبيوت.

يقال: إن الإجراءات المتخذة من أجل تسليم المنازل في حي التضامن في دمشق لأصحابها تعتبر «مبسطة»، فبعد أن يتم التقدم بالوثائق المطلوبة، وما على صاحب العلاقة إلا انتظار الموافقات المطلوبة لاحقاً، ليصار بعدها إلى تسليم المنازل للأهالي من قبل لجنة مكلفة بهذا الموضوع.

من أشكال الخدمات التي تسهل عليه هذه العملية! فهل من الممكن إطلاق عبارة الإجراءات المبسطة على كل ما سبق؟ وهل فعلاً هناك نوايا حقيقية بتسهيل عودة المواطنين إلى بيوتهم؟ لعل ما سبق أعلاه، وهو غيض من فيض، لا يشي بذلك أبداً!

فقدوه، دماراً وتعفيشاً، وبعد كل ما سبق، سيفاجأ الراغب بالعودة للبدء بعمليات الترميم اللازمة لمنزله، أن الخدمات الضرورية غير متوفرة، وخاصة الكهرباء، بالإضافة إلى صعوبة إيصال مواد ومستلزمات عملية الترميم بسبب عدم إزالة الأنقاض المتراكمة من الطرقات ومن الحارات الفرعية، بمعنى آخر، عدم وجود أي شكل

وبحال تمكن من حصل على الموافقات السابقة أعلاه من تأمين النقود الكافية لشراء المواد والمستلزمات لعمليات الترميم المطلوبة في ظل ارتفاعات الأسعار الكبيرة عليها، وما سيفرض عليه من إتوات إضافية لقاءها، وهي معضلة كبيرة وشائكة من كل بد، خاصة بعد طي الحديث الرسمي عن التعويضات للمواطنين عما

# من يحاول تقسيم سورية؟



نشر الأستاذ أدار خليل، أحد أبرز قيادات حزب الاتحاد الديمقراطي، وتيار الإدارة الذاتية، مقالاً تحت عنوان «من الذي يقسم سوريا؟!» يوم 11 من الجاري في موقع روناها، يناقش فيه طبيعة الدور الروسي في الأزمة السورية، من خلال الرد على تصريحات لوزير الخارجية الروسية تحذر من الدور الأمريكي في سورية عموماً، وفي شمالها الشرقي على وجه الخصوص، منبهة أنه يسعى إلى تفكيك سورية.

سنحاول فيما يلي مناقشة بعض ما ورد في المقالة المذكورة، في إطار ضرورة فهم واقعي لماهية دور القوى الدولية، وكيفية التعاطي الصحيح معه من قبل القوى السورية التي تحاول إخراج البلاد من المأزق الوجودي الذي تمر به.

## حول «المهنية» الصحفية، واستثمارها

قبل أي دخول في التفاصيل، لا بد من توضيح مسألة في غاية الأهمية، وهي أن السيد خليل، وإن لم يوضح ذلك في مادته، إلا أنه قد استند فيها إلى تصريح جرى نسبه للافروف من قبل الصحفي إبراهيم حميدي في مقالة له في الشرق الأوسط في اليوم نفسه بعنوان: «10 نقاط خلافية بين دمشق وموسكو في «الملف السوري»».

في تلك المادة، ينسب حميدي إلى لافروف قوله خلال لقاء له مع قناة العربية: «النقطة الساخنة الثانية، هي منطقة الجانب الشرقي لنهر الفرات، حيث يوجد الأمريكيون بصورة غير قانونية مع القوات الانفصالية، ويلعبون مع الأكراد بطريقة غير مسؤولة». وقد وضعنا «القوات الانفصالية» بالخط العريض، لأنها تحريف لما قاله لافروف. لقاء لافروف مع العربية موجود على موقع العربية وعلى موقع يوتيوب. ويمكن العودة للجملة المنسوبة للافروف عند الدقيقة 15:30 بالضبط، ويقول حرفياً: «البؤرة الساخنة الثانية هي على الضفة الشرقية

لنهر الفرات، حيث الوجود غير القانوني للقوات الأمريكية، المقترن بتعزيز الأمريكيين للنزعات الانفصالية، وهم يلعبون بالورقة الكردية بطريقة غير مسؤولة». أي أن وزير الخارجية الروسي لم يصف الإدارة الذاتية بأنها «مشروع انفصال» كما يورد السيد خليل، ولم يصف قوات قسد بأنها انفصالية، بل تحدث بالضبط عن تشجيع الأمريكيين للنزعات الانفصالية، والفارق كبير جداً بين ما أورده حميدي وبين الأصل بمعانيه وأبعاده السياسية، بل وبين يخدم عبر التحريف المقصود. ولا نظن أنه من المبرر أو المقبول للسياسي أن يبني موافقه على المقالات الصحفية وما تنقله عن المسؤولين دون الرجوع إلى الأصل، خاصة حين تكون المسألة حساسة إلى هذا الحد، وحين يكون الأصل موجوداً ومن السهل الوصول إليه...

## معيار التقييم

بالعودة إلى منطق المعالجة لدى السيد أدار، نرى أنه من المفيد بداية التذكير بأن الصراع الدائر في سورية بات صراعاً مركباً، له أكثر من مسار؛ فمن جهة هو صراع بين السوريين، ومن جهة أخرى صراع دولي على سورية وحولها. وخط الفصل في هذا الصراع بكل مساراته، يجري حول الموقف من اتجاه تطور الوضع السوري؛ أي حول شكل وطبيعة النظام السياسي، وبنية الدولة السورية، وسلامتها الإقليمية، وموقع سورية

في شبكة العلاقات الدولية والإقليمية. وفي ظل مستوى التعقيد العالي الذي تظل الأزمة، باتت سورية مهددة في وجودها، أي مهددة في وحدة الكيان السياسي والجغرافي. ومن أجل ذلك بات الحل السياسي التوافقي حلاً وحيلاً للأزمة السورية.

ولأن الأمر كذلك، ينبغي أن تحدد أية قوة جديفة في سورية موقفاً من جميع الأطراف، على أساس موقف تلك الأطراف الفعلي من قرار مجلس الأمن 2254 سواء كانت أطراف دولية أو إقليمية أو سورية. سواء كان الروسي أو الأمريكي أو الإدارة الذاتية أو تركيا أو إيران أو النظام أو المعارضة.

## توقيت ملفت للنظر!

جاءت مقالة الأستاذ أدار في توقيت لافت بالمعنى السياسي، حيث نشرت في ظل وجود حملة واسعة تجددت مؤخراً لشيطة الدور الروسي في الأزمة السورية. تلك الحملة التي تساهم فيها أطراف سورية «متناقضة» من الموالات والمعارضة، كل من موقعه وبالخطاب الذي يناسب جمهوره، بغض النظر عن نوايا كل طرف، ولكن، بما يؤدي الهدف نفسه؛ وهو التشويش على الدور الروسي في الحل السياسي بما يزيد من المساحة الافتراضية للعب الأطراف الغربية، وهي المساحة المتقلصة موضوعياً، يوماً وراء آخر.

من جهة أخرى، جاء المقال بعد خروج التباينات بين الطرف الروسي والنظام إلى السطح في أكثر من موقف، ومنها الموقف من تجربة الإدارة الذاتية نفسها، الأمر الذي تجلّى في اختلاف الآراء حول مذكرة التفاهم التي وقعت بين الإرادة الشعبية، ومجلس سوريا الديمقراطية في المؤتمر الصحفي المشترك لوزير الخارجية السوري والروسي.

## الفهم القاصر

مشكلة العديد من القوى السورية في النظام والمعارضة ومنها البعض ضمن الإدارة الذاتية، هي محاولة اللعب على التناقضات الدولية والإقليمية لتحقيق مكاسب آنية وخاصة، أو السعي إلى أن تتبنى هذه الجهة الدولية أو تلك المشروع السياسي الخاص بها كما هو، وهذا ما يتناقض مع مستوى التعقيد العالي في المسألة السورية، وتشابك وتضارب المصالح الدولية والإقليمية والسورية حولها، ويتناقض مع مبدأ التوافق السياسي، الذي يشكل جوهر وروح القرار 2254 كأحد ثوابت الحل، وبالتالي تصبح هذه القوى في موقع المعيق للحل من حيث تدري أو لا تدري.

ليس مطلوباً من الإدارة الذاتية أو الإرادة الشعبية أو أي طرف سوري، أن يراهن على قوى دولية لتثبيت مشروعه؛ فتثبيت المشروع يجب أن يكون بالاعتماد على السوريين حصراً، أما دخول أي طرف دولي لمناصرة طرف سوري ما خارج القانون الدولي، لتثبيت مشروعه، يصبح تدخل، فمهمة القوى الدولية فيما يتعلق بالحل السياسي تكمن حصراً بثلاث قضايا أساسية: الحرب على الإرهاب، تحييد دور القوى الإقليمية والدولية عن مسارات الصراع الداخلي، تأمين الأجواء المناسبة كي يقرر السوريون - كل السوريين - مصيرهم بأنفسهم، من خلال تطبيق كامل للقرار 2254، بما في ذلك دستور جديد، وانتخابات حرة ونزيهة على كافة المستويات، إضافة إلى مختلف مندرجات القرار، بما يؤدي إلى نظام سياسي جديد.

## الصراع الروسي الأمريكي

واضح من كلام الدبلوماسية الروسية «الأصلي لا المحرف»، والذي يرد عليه

# حوار هادي مع الأستاذ أدار خليل

بالدرجة الأولى من ذلك الطرف الذي عمل منذ اليوم الأول بمنطق إدارة الأزمة، والإبقاء على حالة اللاحل، واستندج الجميع إلى ملعب العنف، وعض النظر عن تنامي ظاهرة الإرهاب، وقدموه إلى سورية، ثم استغل وجودها للتدخل العسكري المباشر، واليوم يعلن صراحة، أنه يريد «تحويل سورية إلى مستتقع» في صراعاته الدولية، بغية استنزاف خصومه من القوى الصاعدة، طالما أنه لم يعد قادراً في ظل تراجعهم على حسم الموقف لصالحه.

بقي أن نؤكد مجدداً ونقول، ليس مفيداً لا من وجهة نظر المصالح الوطنية السورية العامة، ولا من جهة حل المسألة الكردية في سورية، أن يتموضع الأستاذ أدار في الموقع الخاطئ ضمن الاستقطاب الدولي والإقليمي الحاد، فالمطلوب على الأقل هو الحياد، طالما أن المشكلة هي بالأصل بين السوريين. وإن استعادتها إلى السوريين هي شرط لا غنى عنه للوصول إلى الحل. أما الظن بأن المزيد من التحويل سيؤدي إلى الحل، فهو ظن خاطئ بكل تأكيد. وفي هذا الإطار فإن عدم الثقة بالنظام، والقلق من الدور التركي العدواني، وحتى التشكيك بروسيا، ربما يكون «مبرراً» للسيد أدار، طالما أنه ينطلق من الخاص إلى العام في قراءة الأزمة السورية، ولكن المشكلة أن النتيجة الواقعية لمثل هذه الرؤية تؤدي إلى عزلة مشروعه سورياً وإقليمياً ودولياً، وتفضي موضوعياً إلى الثقة بطرف وحيد وهو الأمريكي، وهذا ما تقوله مقالة الأستاذ أدار في ما بين سطورها تماماً، رغم أن الأمريكي أثبت وبالتجربة الملموسة وأكثر من مرة، بأن الورقة الكردية بالنسبة له، مجرد ورقة ضغط يستخدمها متى يشاء، بغض النظر عن النتائج على المستوى السوري العام، وعلى المستوى الكردي.

وما يجدر التنكير به في هذا السياق، أن استدعاء التدخل الخارجي والتعويل عليه، من قبل بعض أطراف المعارضة السورية، بمثابة «ورقة يا نصيب» رابحة بالنسبة لمتشددى النظام، إذ حول مسار الأحداث كلياً، من حيث هي حركة احتجاجية سلمية، إلى أزمة مركبة. واليوم فإن الدعوة إلى استبقاء الأمريكي صراحة، أو مواربة، ستؤدي الوظيفة ذاتها، مع الإشارة إلى أن الأمريكي هنا يمتلك أوراقاً قديمة تمت إعادة إنتاجها مؤخراً، وتمثلت في البيانات التي أصدرها بقايا الائتلاف فيما يخص الوضع في الشمال الشرقي، والتي قدمت من خلال تلك البيانات أوراق اعتمادها للامريكي، لتصبح من جديد أدوات بوظيفة جديدة في بعض المناطق الخاضعة لسلطة الإدارة الذاتية.

لل قوات الأمريكية من تلك المناطق... وهي العملية التي كان يمكن لها أن تمتد لاحتلال مناطق أوسع بكثير لولا الاتفاق الروسي التركي بتاريخ 15 تشرين الأول والذي أوقف العملية عند الحدود التي كانت قد وصلتها.

## من جلب الأمريكي؟

ليست قوات سورية الديمقراطية هي من جلبت الأمريكي إلى سورية، ومن يدعي ذلك يجانب الصواب. المشكلة ليست هنا، بل المشكلة هي في أوام الرهان على الوجود الأمريكي أثناء رسم السياسات والرؤى، المشكلة في الظن بأن الوجود الأمريكي مستمر وأبدي، المشكلة في التفاعل الإيجابي الذي ينتهجه البعض مع الاستثمار الأمريكي في الأزمة السورية، رغم أن مثل هذا الوهم يضع مشروع الإدارة الذاتية والمسألة الكردية على الفور، أمام ثلاثة تحديات خطيرة:

الأول: هو العلاقة مع شركاء المكان؛ فالاعتماد على الأمريكي يخلق رد فعل سلبي عام، يتجاوز «النخب» السورية في النظام والمعارضة، ليصل إلى الرأي العام الشعبي. ولعل أكثر ما يفسر أهمية هذا الجانب، هو انكفاء الشوفينية، الرسمية منها والمعارضة، عليها خلال العقود الماضية، في تشويه المسألة الكردية، وتأييب الرأي العام ضد الكرد، أي عكس ما يتطلبه مشروع «الأمة الديمقراطية» العابرة لما هو قومي وطائفي وديني.

الثاني: تأليب دول الجوار الإقليمي، مجتمعة وفرادى.

الثالث: إخضاع المسألة السورية عموماً، والكردية منها خصوصاً إلى براغماتية، ولا أخلاقية الدور الأمريكي.

ومن نافل القول، إن جملة الملاحظات أنفة الذكر، لا تلغي بأي شكل من الأشكال عدة حقائق تتعلق بتجربة الإدارة الذاتية، ومنها:

– الدور البارز الذي لعبه هذا التيار في مواجهة الإرهاب والتطرف، والتضحيات الكبرى التي قدمها في هذا المجال.

– إن هذا المشروع يعتبر أحد الحوامل المادية للمسألة الكردية، التي تستوجب فعلاً حلاً وطنياً – ديمقراطياً في إطار بناء سورية الجديدة.

– إمكانية الاستفادة من هذه التجربة، من جهة تأمين هيكل السلطة الشعبية في المناطق، بعد نفوذ السليبيات غير القليلة عنها.

إن الخطر على وحدة سورية، الذي بدأ بسبب تلك المواقف التي تبناها متشددو أطراف الصراع في النظام والمعارضة، واستمر مع ارتفاع منسوب التدخل الخارجي، وازداد طرداً مع زيادة هذا التدخل، يتأتى اليوم



أحداً بأحد، أو يدفع أحداً إلى مآزق كما فعلت واشنطن مع كل القوى التي راهنت عليها منذ الـ 2011. وبإمكان أي كان، أن يستنكر عدد المرات التي أوهم الأمريكي من رهن عليه من السوريين، وكيف دفعه من مآزق إلى مآزق.

## التدويل ليس حلاً

أحد أكبر أخطاء الإدارة الذاتية فيما نعتقد، هو طبيعة ونوعية الانخراط في عملية التجاذب الدولي والإقليمي حول المسألة السورية عموماً، والكردية خصوصاً؛ حيث تشكل المقالة قيد النقاش نموذجاً ملموساً لهذا الخطأ واستمراراً له. ليس ذلك فحسب، بل السير أيضاً على حواف التجاذب الداخلي الأمريكي نفسه، في ظل الانقسام الذي تعاني منه الإدارة الأمريكية حول العديد من الملفات الدولية، ومنها المسألة السورية، خصوصاً وأن كل ذلك يجري في ظل توازن قلق وهش، اتجاهه العام ليس لصالح الأمريكي، ومن الممكن أن تتبدل فيه المحاور والاصطفافات في أية لحظة.

إن الرهان على الطرف الأمريكي في ظل الاستقطاب الدولي الحاد، والانقسام الداخلي الأمريكي الذي لا يقل عنه حدة، هو سير في حقل الألغام، رأينا فصله الأول في عفرين ورأس العين بالذات، واللذين يجري تحميل مسؤوليتهما دون أدنى وجه حق للروسي، في تناقض كامل مع الحقائق التي يعرفها السيد أدار جيداً!

ناهيك عن الغياب العجيب لأي إشارة إلى الدور الأمريكي الواضح والمفصوح جداً في فتح الباب لاحتلال تركيا لكل من تل أبيب ورأس العين ومئات القرى والنواحي في الشمال الشرقي السوري ضمن عملياتها العسكرية التي سمّتها «نبع السلام» والتي انطلقت بتاريخ 9 تشرين الأول 2019، بعد أقل من ثلاثة أيام من انسحاب «مفاجئ»

الأستاذ أدار في مقاله، أنه يوجه الاتهام المباشر للجانب الأمريكي بمحاولة تقسيم سورية، أي أن المعنى الأول بالحديث – الاتهام هو الجانب الأمريكي، وهو في الحقيقة تحذير وتنبيه مبني على وقائع كما اعتقد، ويشاطره في الرأي طيف واسع من السوريين، وتكمن وأغنية هذا التحذير في عدة وقائع:

أولاً: التجربة التاريخية المرة، ولا أخلاقية الدور الأمريكي في هذا الجانب، وفي بقاء عديدة من العالم.

ثانياً: عندما تعجز واشنطن عن إيصال التقسيم إلى نهاياته لهذا السبب أو ذاك، فإنها تعمل على الإبقاء على حالة اللاحل، مما يؤدي إلى تحقيق الحد الأدنى من التقسيم، أي الفوضى، وفي الفوضى لا ينتصر أحد، لا بل أكثر من ذلك، فإن من يخسر هو صاحب الورقة الأضعف في التوازنات القائمة، وليس سراً في هذا السياق أن المبعوث الأمريكي صرح علناً بأن مهمته تحويل سورية إلى مستتقع لروسيا، وأظن أن المتابع لا يحتاج إلى كثير من الذكاء حتى يكتشف تبعات ذلك على سورية والسوريين.

ثالثاً: ليس من العقلانية في شيء، من وجهة نظر مشروع الإدارة الذاتية نفسه، أن يضع السيد أدار نفسه في مواجهة طرف كروسيا، له ما له من ثقل في الميدان الدولي عموماً، والسوري خصوصاً، بغض النظر عن الموقف العام من هذا الطرف، ناهيك عن أن هذا الطرف هو الوحيد والأول من القوى الدولية الذي يجاهر، ويعلم موقفه الصريح من كل القضايا السورية ومنذ البداية، بما فيها تمثيل الإدارة الذاتية في مفاوضات الحل السياسي، وعن ضرورة مراعاة التعدد القومي في بناء سورية الجديدة، وأبقى على خطوط التواصل مع كل القوى السورية حتى تلك التي تعاديه، ليستطيع القيام بدور الوسيط، دون أن يبيع أحداً أو هاماً، أو يورط أحداً، أو يبتز



# حول فوبيا الشيوعية في الولايات المتحدة... أبعاد أخرى



تتخلى فيه الدولة عن قسم كبير من دورها الاجتماعي، حاجة ملحة من وجهة نظر الربح...

## ما بعد الليبرالية الجديدة

تظهر الإحصاءات الاقتصادية، أن وضع الطبقة العاملة في الغرب، وفي الولايات المتحدة ضمناً، وخاصة عبر مؤشر الأجور الحقيقية، لم تشهد أي تطور إيجابي خلال العقود الثلاثة الماضية، وأكثر من ذلك، فقد شهدت تراجعاً ملحوظاً إذا أخذنا في الحسبان التراجع المتفاجم للخدمات الاجتماعية، باعتبارها شكلاً ثانوياً من أشكال توزيع الثروة على المستوى الوطني. مع انفجار أزمة 2008، وبقاعة الانتعاش التي تلتها، ولم تلبث أن انفجرت مجدداً خلال العام الماضي بشكل أكثر كارثية، حتى انطلقت يد الشركات الكبرى في انتزاع المزيد من حقوق العمال.

ولكن مع ذلك، فإن «التدخل الحكومي» لإنقاذ البنوك المنهارة، كان قد سطر في 2008 الكلمة الأولى في نهاية حقبة الليبرالية الجديدة، التي تقوم أساساً على تقييد الدولة ودورها الاجتماعي. أهم من ذلك، أن الشركات الكبرى، تظهر اليوم حاجة مضاعفة لتدخل جهاز الدولة، ولكن بأية صيغة ولمصلحة من؟

ما نعتقده، ونرى مؤشرات الواضحة في المكارثية الجديدة و«الحرب الجديدة على الشيوعية» وغيرها من الظواهر، أن النخبة العالمية تريد لجهاز الدولة اليوم أن يلعب دوره السافر والواضح بوصفه جهاز قمع طبقي، ودون حتى الوظيفة الملازمة لذلك التي تقول بأنه جهاز قمع وتنظيم وتلطيف للصراع الطبقي... ما يعني: أن المطلوب اليوم من جهاز الدولة في الغرب، من وجهة نظر مالكيه الفعليين، أن يتحول إلى مجرد أداة قمع وإخضاع ولا شيء آخر، والتلويح ب«الحرب على الخطر الشيوعي»، ليست أكثر من أحد المداخل الأساسية لهذا الدور الجديد...

هذا التحول السافر في دور جهاز الدولة، يهدد وجود هذه الدول نفسها... ولذا، ليس مستغرباً نهائياً، أن يزداد مثلاً، زخم الحديث عن احتمالات تقسيم الولايات المتحدة...

التحقت بالاتحاد السوفييتي في تثبيت هذه الحقوق مضطرة، وبشكل جزئي، بعد سنوات طويلة «في الولايات المتحدة مثلاً، جرى إقرار تشريع 40 ساعة عمل في الأسبوع عام 1940»

## الليبرالية الجديدة وبدء استعادة التنازلات

بيروي التاريخ: أن حقبة الليبرالية الجديدة نهاية السبعينات ومطلع الثمانينات، قد جرى تدشينها سياسياً على يد كل من مارغريت تاتشر ورونالد ريغان. الجانب الذي لا يلقى عليه ما يكفي من الضوء، هو أن التدشين العملي لهذه الحقبة يجد تمثيلاً الأكثر وضوحاً، في عمليات القمع الدموي التي مارستها «المرأة الحديدية» تاتشر، في وجه الإضرابات العمالية في بريطانيا.

المسألة في الجوهر كانت كالتالي: عاش الاتحاد السوفييتي تراجعاً مزمناً منذ أوائل الستينات تقريباً، وقد بلغ من الضعف في الثمانينات، ما يكفي خصومه لتجاوز مسألة منافسة النموذج، وتالياً، فإن ما جرى التنازل عنه من حقوق للعمال في الغرب، ينبغي سحبه.

بالتوازي، فإن ما سمي منذ أواسط القرن الماضي ب«دولة الرعاية الاجتماعية»، لم تعد ضرورة، بل وأهم من ذلك لم تعد قابلة للحياة من وجهة نظر الربح.

إذا كان التأسيس النظري لفكرة دولة الرعاية، يعود في أحد جذوره إلى المفكر الاقتصادي البريطاني جون كينز، والذي نظر لآليات تدخل الدولة في السوق للخروج من الأزمات الدورية عبر التحكم بالإنفاق الحكومي وغيرها من الآليات، فإن الواقع العملي للتنافس مع النموذج السوفييتي من جهة، وبالتوازي مع الأزمات الرأسمالية المتلاحقة، هو ما حول هذه الأفكار إلى شيء ملموس في الدول الأوروبية.

ولكن مع خفوت التنافس من جهة، ومع تعمق الأزمات الرأسمالية من جهة ثانية، وبخاصة مع ارتفاع سلطة الشركات العابرة للقارات، وانخفاض معدلات ربحها رغم ذلك «بحكم تعقد التركيب العضوي لرأس المال»، بات الانتقال نحو النموذج النيوليبرالي، الذي

تناولت الزميلة ريم عيسى في مادة لها بعنوان «لماذا يعود رهاب الشيوعية من جديد إلى الولايات المتحدة؟» (نشرت في موقع قاسيون الإلكتروني بتاريخ 10/16)، ومن عدة زوايا: ارتفاع مستوى الحديث عن الشيوعية والاشتراكية في الولايات المتحدة خلال السنوات القليلة الماضية، والأشهر الأخيرة بشكل خاص...

## ■ سعد صائب

ما يبررها وما يعبئ الناس اتجاهها، ولا تكفي في هذا الإطار الجوانب الاقتصادية والسياسية للمسألة، ولا بد من اختراع «هدف سام» وإسباغ «قيمة أخلاقية» على الحرب عديمة الأخلاق... يتمثل ذلك بالمستوى الإيديولوجي من الصراع؛ فالحرب على الإرهاب، والإسلامي منه خاصة، حملت بشكل ضمني وعلني، أفكار دفاع العالم الحر، وعلى لسان بوش الابن «العالم المسيحي الحر» ضد «الخطر الإسلامي»... وهي الأفكار التي جرى التنظير لها عملياً خلال حقبة التسعينات على يد هنتنغتون في كتابه صراع الحضارات...

ونرى الآن تكراراً للدعائيات ذاتها من حيث الجوهر، التي جرى استخدامها خلال الحرب الباردة في وجه الاتحاد السوفييتي، ولكن مع فارق هائل في الظروف يتركز برأينا في نقطتين جوهريتين: عمق الأزمة الرأسمالية الراهنة، وما أنتجت من تحولات في دور الدولة.

## تنازلات اضطرارية

مع انتصار ثورة أكتوبر عام 1917، ومن ثم تشكيل الاتحاد السوفييتي، انطلقت منافسة حامية بين نموذجين للدولة؛ النموذج السوفييتي، بمقابل النموذج الرأسمالي التقليدي.

في سياق هذا التنافس، وفي عقود الأربعة الأولى بشكل خاص، اضطرت الدول الغربية لتقديم تنازلات ضخمة لعمالها لثنيهم عن التعاطف مع الاتحاد السوفييتي، ولمنع نقل التجربة إلى بلدانهم.

من أمثلة ذلك، وهي كثيرة وقد تكون صادمة للكثيرين، أن الدول الأوروبية اضطرت إلى إجراءات من نمط: «تحديد يوم العمل بثمان ساعات، تأمين التعليم العام المجاني أو شبه المجاني، تأمين العمال صحياً، تأمين المساكين العمالية، حق الانتخاب والترشح للمرأة وغيرها الكثير الكثير...»

هذه الأمور كلها، باهى الغرب بها خلال عقود الخمسينات والستينات والسبعينات بوصفها «فضائله الاجتماعية»... حقيقة الأمر، هي: أن الدول الرأسمالية الغربية كانت مضطرة لتقديم هذه التنازلات تحت ضغط النضال العمالي في بلدانها من جهة «العمال الذين تعرضوا إلى سلسلة من المذابح خلال إضراباتهم المطالبة بثمان ساعات عمل، ابتداء من منتصف القرن التاسع عشر»، ولكن أيضاً تحت ضغط النموذج السوفييتي، أي: سلطة العمال والفلاحين في حينه، والتي انتزعت هذه الحقوق وفرضتها خلال السنوات الأولى من استلامها للسلطة... أما الدول الغربية فقد

وضّحت عيسى في مادتها: أن الاتهامات المكثفة التي يطلقها ترامب ووزير خارجيته ضد الديمقراطيين بأنهم «ميالون للشيوعية» أو أنهم «يريدون تحويل الولايات المتحدة إلى بلد اشتراكي»، وعدا عن كونها بعيدة كل البعد عن سياسات الديمقراطيين، فهي كذلك أبعد من أن تكون مجرد استثمار انتخابي يستخدمه ترامب في وجه خصومه. وصولاً إلى تسمية المرحلة التي تعيشها الولايات المتحدة الآن، بأنها بداية مرحلة مكارثية جديدة، عطفاً على مكارثية الخمسينات التي جرى فيها قمع و«تكفير» أية آراء شيوعية أو متعاطفة مع الشيوعية. وبالتوازي، جرى فعلياً قمع كل أشكال الحراك السياسي والنقابي في الولايات المتحدة، وصولاً إلى تكريس صيغة «الحزب القائد» ذي الرأسيين «الجمهوري/الديمقراطي».

## العدو «الإيديولوجي»

ترى عيسى في مادتها- واستناداً إلى الطبيعة العسكرية والعدوانية والناهبة، للنظام الأمريكي، وبكلمة واحدة الطبيعة الطبيعية الإمبريالية- أن الوجود الدائم لعدو خارجي/داخلي، هو بحق «رئة حديدية» يتنفس منها هذا النظام، عبر جملة حروب متتالية... وتحت الشعار الأثير لدى مختلف أنواع الأنظمة الناهبة، سواء تلك التي في المركز الإمبريالي، أو نسخها الممسوخة في بلدانها: «لا صوت يعلو فوق صوت المعركة»... وهو شعار حمل صيغاً مختلفة عبر التاريخ الرأسمالي، ربما ابتداء من لويس بونابرت الذي ذبح الحركة السياسية في فرنسا في خمسينات القرن التاسع عشر بحجة الحرب مع روسيا، ومروراً بشعار «الدفاع عن الوطن» الذي رفعته الأمة الثانية بقيادة كاوتسكي، لتزج العمال كأضاح لوحوش الإمبريالية الأوروبية خلال الحرب العالمية الأولى.

وبما أن حضور العدو هو جزء من «معادلة الاستقرار»، وبعد انتهاء الحرب الباردة، ومع انهيار إمكانية الاستثمار في «الحرب على الإرهاب» مع دخول روسيا المباشر على خط الحرب عليه، فقد بات من الضرورة القصوى خلق عدو «جديد»... وليس هناك أفضل من «الشيوعية» من وجهة نظر النخبة الأمريكية عدواً... خاصة وأن هذا العداء، لن يخدم في إطار الصراع الداخلي فحسب، بل ويبدو «حفر وتنزيل» في العداء مع الصين بالدرجة الأولى، وروسيا بالدرجة الثانية... أي: إنه عداء وظيفته استكمال جوانب التناقض مع الصين وروسيا؛ فالحرب تحتاج



# حلب.. الكتاب المدرسي ومصباح علاء الدين..



بمليون ليرة ليؤمن مديرها حاجة مدرسته من القرطاسية والصيانة البسيطة، ويتولى تشكيل لجنة في مدرسته لهذا الغرض». أما المملكت، فقد تمثل بتحصيل مديري المدارس مسؤولية أي خلل في العملية التربوية باعتبار «الإدارة الناجحة تعمل ضمن الإمكانيات المتاحة»، وذلك بحسب قول معاون وزير التربية في أحد الاجتماعات.

**المسؤوليات المجرية لا تحل المشاكل** بعيداً عن النموذج التسويقي والإعلامي للجولة التربوية التي سلطت الأضواء مثلاً على بعض الشعب الصيفية النموذجية من خلال الصور المتداولة، وخاصة تلك التي تظهر في كل مقعد طالبان فقط، وبعيداً عن نموذج مارد علاء الدين على مستوى الكتاب المدرسي، الذي تبين أنه وبقدرة قادر هناك كميات من الكتب الجديدة في مستودعات المدارس المدرسية لم يتم توزيعها على المدارس وهي بانتظار الإشارة فقط، ومع الأخذ بعين الاعتبار أن ما سبق أعلاه من مشاكل مزمنة لا تقتصر على مدينة حلب فقط، بل يمكن تعميمها على بقية المحافظات، نتساءل:

هل يكفي «الدعم» بمبلغ مليون ليرة لكل مدرسة كي تخرج «الزير من البير» على مستوى تأمين القرطاسية والقيام ببعض عمليات الصيانة في المدارس؟ هل يتحمل مديرو المدارس مسؤولية الخلل في العملية التربوية في ظل تشابك وتعقيد المشاكل المزمنة المذكور بعضها أعلاه، والتي تخرج الكثير منها عن حيز مسؤوليتهم المباشرة؟

إلى متى سيبقى نموذج التهرب من المسؤوليات، وتجسير بعضها إلى المستويات الإدارية الأدنى، وعدم حل المشاكل المرتبطة بالعملية التربوية والتعليمية من جذورها هو السائد؟

رياضيات...». ازدهام الطلابي في الشعب الصيفية، فالشكل السائد هو ثلاثة تلاميذ في كل مقعد، وفي بعض الشعب يكون هناك 4 تلاميذ في كل مقعد، والحالات النادرة أن يكون في كل مقعد طالبان فقط.

مشكلة الكتاب المدرسي التي تتمحور حول نقطتين: النقص بالكميات، والنسخ الموزعة المحلولة والتالفة.

مشكلة التدفئة في الشعب الصيفية، وذرائع عدم توفر مادة المازوت والاعتمادات، ناهيك عن عدم توفر المدافئ بدايةً.

المشاكل المستجدة المرتبطة بالإجراءات الاحترافية بما يخص «الكورونا» والبروتوكول الصحي المعتمد من أجل هذه الغاية.

طبعاً يضاف إلى كل ما سبق معاناة الكادر التدريسي والإداري المزمنة، سواء بما يتعلق بمستلزمات العملية التعليمية نفسها، أو بما يتعلق بمتطلبات وضرورات واقفهم الحياتي والمعيشي على مستوى الأجور والتعويضات والطبابة والمواصلات وغيرها.

## بمسؤولية مدراء المدارس

خلال الجولة الوزارية التربوية تم طرح جملة المشاكل أعلاه عبر اللقاءات المباشرة مع القائمين على العملية التربوية والتعليمية في المدينة، وعبر الزيارات الميدانية التي جرت لبعض المدارس فيها.

وقد تم توثيق بعض هذه القضايا عبر صفحة الوزارة وصفحة مديرية تربية حلب بتاريخ 2020/10/10، ومنها: تسريع الإجراءات الإدارية- تحسين أسعار ساعات التدريس للمكفنين- زيادة كوادرات الصحة المدرسية- إعادة النظر بشروط عقد التأمين الصحي- ضرورة سد شواغر المدرسين.

كما أعلن وزير التربية عن: «دعم كل مدرسة

ما جرى بشأن إعادة النظر بتوزيع الكتب المدرسية في حلب، وظهر أن هذه الكتب متوفرة في المستودعات عند الإشارة والطلب، قريب الشبه بمارد علاء الدين الذي ينتظر الطلب والإشارة لتحقيق الرغبات والأمان!

## ■ مراسم قاسيون

التربية، بحسب تصريح مدير أحد مستودعات الكتب في حلب عبر الفضائية التربوية منذ أسبوع تقريباً. وقد بدأت هذه العملية مطلع الشهر الحالي، بعد أن تكبد بعض ذوي التلاميذ تكاليف شراء نسخ جديدة منها، حيث تبين أن المستودعات لا تعاني نقصاً بكميات هذه الكتب الجديدة!

فلماذا تم اعتماد النسب في البداية، التي شملت كتب الأنشطة أيضاً، طالما أنها متوفرة في المستودعات؟ ولماذا اقتصر توزيع نسخة كاملة من الكتب الجديد على الصفوف الثلاث الأولى فقط من مرحلة التعليم الأساسي؟

## مشاكل ونواقص مزمنة

مع الافتتاح المدرسي، وبدء الفصل الدراسي الأول، ظهرت طبعاً العديد من المشكلات المزمنة الخاصة بالقطاع التربوي- في مدينة حلب- إلى السطح مجدداً، والتي يمكن تلخيصها بالتالي:

عدم استكمال عمليات التأهيل للمدارس، وخاصة على مستوى المرافق الصحية، والنقص ببعض المستلزمات الضرورية، مثل: المقاعد، بل وحتى الأبواب والنوافذ في بعضها، ناهيك عن المدارس التي لم تُعد للخدمة بسبب التأخر بعمليات الترميم والصيانة اللازمة لها.

نقص الكادر التدريسي، وهذه تعتبر من المشاكل العميقة والمزمنة، فهناك بعض المواد لم يتم البدء بها في بعض المدارس بسبب نقص المدرسين «فيزياء- لغات-

فبعد مضي شهر تقريباً على الافتتاح المدرسي، وعلى إثر جولة الوفد الوزاري التربوي إلى مدينة حلب، أعيد النظر بألية توزيع الكتب المدرسي على المدارس، حيث تم التوجيه باستكمال توزيع الكتب الجديدة لصفوف الأول والثاني والثالث، من خلال تعديل النسب المعمول بها سابقاً، واتضح أن ذلك ممكن التحقيق!

وكان من نتائج الجولة أيضاً، بعد العديد من اللقاءات والزيارات الميدانية، والوقوف على الكثير من المشاكل والمطالب، الإعلان عن دعم كل مدرسة بمبلغ مليون ليرة مخصصة للقرطاسية والصيانة البسيطة.

فهل يكفي ذلك للنهوض بالعملية التربوية والتعليمية في المدينة الكبيرة؟

## استباقاً للجولة التربوية

الملفت بما يخص موضوع الكتاب المدرسي، أنه بعد أن تم توزيع الكتب على الطلاب مع بداية العام الدراسي، وفقاً لنسب محددة من قبل مديرية التربية إلى مستودعات الكتب والمدارس بين الجديد والمستعمل، وبعد حملة الاعتراضات من ذوي التلاميذ على الكتب المستعملة التي تبين أنها محلولة ومهترئة وغير صالحة، واستباقاً للجولة الوزارية التربوية على ما يبدو، تمت إعادة التوجيه لمستودعات الكتب المدرسية والمدارس لاستكمال توزيع الكتب الجديدة لطلاب الصفوف الثلاثة الأولى فقط، طبعاً وفقاً لقوائم اسمية معتمدة من قبل مديرية

# السكن الجامعي لكل طویل عمر من المحسوبين



مع حلول العام الدراسي الجامعي الجديد، وعلى غرار كل سنة، يلجأ الطلاب الجامعيون القادمون من المحافظات الأخرى، أو ممن يقطنون الأرياف والضواحي البعيدة، للتسجيل الروتيني على سرير في المدينة الجامعية في دمشق، والذي يحصل عليه كل طویل عمر من هؤلاء بالنتيجة!

## ■ مراسك قاسيون

كذلك يعفى الطلاب والطالبات الجرحى وأبناء وذوو الشهداء من ثمن الأوراق لتجديد السكن.

ودعت إدارة المدينة الطلاب الراغبين بتجديد السكن إلى الالتزام بإجراءات التصدي لوباء كورونا عند مراجعتهم لأي مكتب أو مركز أو قسم.

**طوابير طويلة والاستثناء للمحسوبة**  
الشروط أعلاه لا جديد فيها، ربما باستثناء التنويه إلى «الالتزام بإجراءات التصدي لوباء كورونا»، التي وضعت نظرياً وغابت عملياً.

لكن في الواقع الذي يعايشه الطلاب في هذه المرحلة ربما يجب استبدال عبارة «تجديد السكن» بعبارة «رحلة أو مناوأة أو صبر أيوب».

فسرير في غرفة ومناقص مشتركة، 90% منها خارجة عن الخدمة، بات يتطلب الوقوف في طابور طويل من الانتظار من الخامسة فجراً، في ظل الوباء والخطر من التجمعات، على أمل الوصول إلى نافذة الموظفة المسؤولة، ليس هذا فحسب، فالوساطة والمحسوبة لم تترك باباً لم تقررعه.

فيمكن بوضوح رؤية طلبة ينجزون معاملاتهم والطابور ما زال لم يتحرك، ويمكن بدهياً التنبؤ بالذي يحدث، هذه المرة ليس تحت الطاولة بل فوق الطاولة وعلناً، محبطين أمل الطلبة الذين لا يعرفون مدير مكتب «فلان»، وليس معهم رقم «علنان»، للتسجيل في نفس اليوم، وإن بعض هؤلاء سيضطرون للمحاولة في يوم آخر، وكل هذا بغير رقيب أو حسيب!

فكما وصف بعض الطلبة معاناتهم، فإن التسجيل في المدينة الجامعية لا يقل معاناة عن الوقوف في طوابير محطات الوقود، لكن

اللجوء إلى السكن الجامعي بالنسبة للغالبية المفقر من الطلاب يعتبر من ضرورات استكمال العملية التعليمية، فالإيجارات المرتفعة تشكل عبئاً مادياً كبيراً على القادمين من المحافظات ليس بمقدورهم تحمله، وكذلك التكاليف المرتبطة بالمواصلات اليومية، وخاصة بالنسبة للمقيمين في الضواحي البعيدة عن دمشق، فالبعض من هؤلاء، وعند عدم توفر السكن الجامعي، يضطرون للاستكاف عن العملية التعليمية.

## الإعلان عن الشروط

أعلنت «المدينة الجامعية في دمشق» عن الشروط الخاصة بتجديد السكن للطلاب والطالبات «القائمين» في المدينة للعام الدراسي 2020-2021، مبيئة أنه سيتم قبول الطلبات الخاصة بتجديد السكن اعتباراً من يوم الأحد 27-9-2020 ولغاية يوم الخميس 22-10-2020.

وبحسب الإعلان: يشترط لتجديد السكن أن يكون الطالب أو الطالبة مسجلاً في المرحلة الجامعية الأولى في إحدى الكليات أو المعاهد التابعة لجامعة دمشق «تعليم نظامي.. عام أو مواز» وأن يكون من طلاب وطالبات السنوات الانتقالية للعام الدراسي 2019-2020، وسنة أولى بالنسبة للمعاهد، وألا يكون معاقباً بأية عقوبة تأديبية، عدا عقوبة التنبيه والإنذار، وألا يكون معاقباً بأية عقوبة جامعية «فصل أو حرمان دورات» ولم تنته فترة العقوبة، وأن يكون الطالب من مدينة تبعد جغرافياً أكثر من 40 كم عن مدينة دمشق.

وأوضحت: «تستثنى غرف الطلاب والطالبات أبناء وذوي الشهداء من الشروط السابقة،

الذي يؤدي على أيدي عديمي المسؤولية والفاسدين.

أما جوهر المشكلة فيتمثل بمحدودية عدد الوحدات السكنية، أي: بمحدودية عدد الأسرة المتوفرة بالنتيجة، حيث تم اللجوء إلى حل هذه المشكلة خلال السنوات الماضية من خلال زيادة عدد الأسرة في كل غرفة، والتي استنفذت عملياً من خلال المساحات المتوفرة في كل منها، ما يعني: أن المشكلة أصبحت تتفاقم عاماً بعد آخر، بالتوازي مع زيادة أعداد الطلاب، وبالتالي، ظهرت الأساليب الملتوية التي أصبحت سائدة، على حساب شريحة الطلبة التي لا حول لها ولا قوة ولا واسطة ولا محسوبة بالنتيجة.

فإن لم تكن هناك نوايا لزيادة أعداد الوحدات السكنية الجامعية، وهو ما يجري عملياً، فبالحد الأدنى أن يتم توزيع الأسرة فيها بشكل عادل ومنصف، بعيداً عن أشكال المحاباة والفساد. فهل هذا كثير؟!

الذي يثير حفيظة هؤلاء وتساؤلهم هل توجد أزمة حبر؟ هل توجد أزمة أقلام؟ أو أختام؟ فعملية التسجيل لا تتطلب كل هذا الوقت المهدور على الطوابير.

ناهيك عن بعض أشكال المعاملة السيئة من قبل البعض الذين يعتبرون ما يقومون به من واجب وكأنهم يحققون أحلام الطلبة، وربما كانوا على حق في ذلك، فحصول الطالب الجامعي على حقه في سرير في المدينة الجامعية أصبح بمثابة الحلم في ظل تفشي المحسوبة والوساطة، بالإضافة إلى المساومة على لقاء مادي أحياناً من قبل البعض!

## معاناة سنوية تحبط الآمال

معاناة الطلاب ووقوفهم في طوابير الانتظار ليست جديدة، ففي كل عام يتكرر المشهد، كما تتكرر معه أوجه المحسوبة والفساد، التي يدفع ضريبتها بعض الطلاب على حساب مخزونهم من الآمال المعقودة على مستقبلهم

**سرير في غرفة ومناقص مشتركة 90% منها خارجة عن الخدمة بات يتطلب الوقوف في طابور طويل من الانتظار من الخامسة فجراً في ظل الوباء**



عشرة أطفال، وليس لدي مصدر دخل سوى هذه البسطة التي تعينني على سد رمق أطفالتي في الوقت العصيب الذي نعاني فيه من ارتفاع الأسعار، والقهر الذي يخيم على حياتنا.

ويضيف: ما زالت المحافظة والبلدية تطاردنا وكأننا شعب من كوكب آخر، علماً أننا كأصحاب بسطات ندفع مبلغ وقدره 43 ألف ليرة سنوياً كرسوم إشغال رصيف.

أما حسين فقد قال: لماذا تم توزيع الإنذارات علينا من قبل المحافظة والبلدية، ولم يتم توزيع إنذارات شبيهة لأصحاب البسطات في شارع الحوض مثلاً، هل لأننا فقراء ومحتاجون؟ بينما البقية الباقية تعتبر من المدعومين والمحسوبين والمحظيين.

ويختم بقوله: «الله يرزق الجميع طبعاً ولا يقطع برزق حدا».

إن المدينة بالنسبة لاهتمامات المحافظة والبلدية مختصرة بثلاثة أحياء فقط هي «الجورة-القصور- هرابش»، وهذه الأحياء من الناحية العملية هي الأكثر اكتظاظاً واستقطاباً للأهالي، أما بقية الأحياء فما زالت مهملة من قبلها، وتطغى عليها معالم الدمار حتى تاريخه، والعمل بها شكلي ومحدود على كافة المستويات من قبل المحافظة.

ويضيف أحدهم: إن البسطات التي نزال من خلالها عملاً في شارع الوادي تعتبر بمثابة السوق الشعبي الذي يقدم الخدمات لشريحة واسعة من المواطنين في المدينة وللقادمين إليها من محيطها، وخاصة أشباهنا من فقراء الحال.

## لسنا من كوكب آخر

قال أبو خالد: أنا بائع بسطة أبيع

## دير الزور.. شكوى ومطلب مشروع

### ■ مراسك قاسيون

الإخلاء يعني بالنسبة لهؤلاء قطع أرزاقهم من الناحية العملية، فهذه البسطات التي يعملون بها هي مصدر الرزق الوحيد الذي يعتمدون عليه من أجل بقائهم على قيد الحياة مع أفراد أسرهم.

يشار بهذا الصدد إلى أن الإنذارات التي تم توزيعها كانت مؤرخة بتاريخ 2020/10/5، على أن يكون الإخلاء في موعد أقصاه تاريخ 2020/10/11 بحسب ما هو مدون بمبتها، علماً أن توزيع هذه الإنذارات تم بتاريخ 2020/10/7.

### جولة في المكان

قاسيون أجرت الأسبوع الفائت بعض اللقاءات مع بعض أصحاب البسطات فيه.

يقول بعض أصحاب البسطات:

في هذا السوق، أو أن يتم نقلهم مع بسطاتهم إلى شارع آخر قريب يزاولون فيه عملهم ويقدمون من خلاله الخدمات للمواطنين، أما أن يتم إخلاؤهم دون بدائل فهذا يعني دفعهم نحو الفقر والحاجة، فلا فرص عمل متاحة تؤمن لهؤلاء مصدر رزق يقي أسرهم الفاقة والعوز والجوع.

برسم محافظة دير الزور.

### مطالب محققة

يطالب أصحاب البسطات في شارع الوادي في المحافظة على بسطاتهم وعلى السوق الشعبي الذي تمثله مع خدماته، خاصة وأنهم يسددون ما عليهم من رسوم إشغال للبلدية بشكل رسمي، ولا يشكلون عبئاً على حركة المرور في المكان، مع عدم ممانعتهم لأي أسلوب ينظم عملهم

## فيسبوكيات

نفتتح فيسبوكيات هذا الأسبوع ببوست تهكمي حول ما آل إليه وضع السوريين على مستوى الترتيب الأخير على مستوى العالم بالنسبة للدخل الفردي للسوريين، يقول البوست:

«ضليتوا تقولوا المصري وسخ الدنيا.. لصرنا أنظف شعب بالعالم.. ولا هرهورة!» حول ما ورد على صفحة الحكومة بأن «وزير الموارد المائية يتفقد الواقع المائي في بلدة معضمية الشام في ريف دمشق، ويستمتع من الأهالي إلى مطالبهم التي تركزت حول استمرار التغذية الكهربائية للبلدة، لحين التأكد من امتلاء خزانات المياه لدى المواطنين، بعد أن تم إفراغها وتظيفها»، علق بعض المواطنين بما يلي: «أي وشو منشان يلي تسمم ومشي الحال ومعرفنا شو سبب».

«بس المياه ما أجت وفضينا الخزانات وانقطعت الكهرباء وما عيينا».

حول قرار لجنة محروقات دمشق القاضي بتعبئة بنزين أوتان 95 فقط للسيارات السياحية، علق البعض بالتالي:

«وما زال المواطن ينتظر الحلول الجذرية لمشكلاته».

«ماعد تظبط استدوقت الناس المستفيدة رزقتها يومياً بالملايين».

حول ما نسب إلى مصدر في وزارة النفط بأن «استمرار أزمة البنزين مرتبط بصعوبة تأمين المادة بشكل مستمر ومتواتر، نتيجة تشديد العقوبات الاقتصادية على سورية»، علق بعض المواطنين بما يلي:

«كل يوم في تصريحات وتبريرات غير مقنعة للمواطن وما في أي حلول على أرض الواقع».

«أول سبب عمرة بانياس ثاني سبب نقص بالصهاريج ثالث سبب قلة التوريدات في شي حدى يقلنا مين بنا نصق؟».

«من الآخر بدكن تغلوه وخجلانين!».

حول الخبر المقول عن المؤسسة العامة للدواجن عن «انخفاض سعر كيلو الفروج 1000 ليرة ليصبح سعر الكيلو غرام منه 2700 ليرة، وانخفاض سعر صوص التربية 900 ليرة ليصبح 500 ليرة»، علق البعض بالتالي:

«يا حبذا موجود ع الواقع!».

«المشكلة أي انخفاض ما عم نشوفو على أرض الواقع».

«ما زال السعر مرتفع مقارنة بالدخل الحالي».

حول الخبر الذي يقول: «زيوت حماة تدخل خط التدخل الإيجابي بملياري ليرة في السوق المحلية»، علق البعض بما يلي: «للأسف نسمع بهذا الكلام من فترة، ولكن الأفعال على أرض الواقع صفر يتم استجرار الزيت النباتي من معامل التابعة لوزارة الصناعة إلى السورية للتجارة والمؤسسة العسكرية، ويتم بيعها بطرق ملتوية حيث لا تجد في تلك الصالات لتر زيت واحد، حيث تتم المتاجرة بها في السوق السوداء وبأسعار مضاعفة».

«الزيوت تباع للقطاع الخاص ولم يكن له أي تأثير في التدخل الإيجابي لصالح المواطن».

ونختم مع بوست من إحدى الصفحات الخاصة، وهو تهكمي ومؤلم يعكس واقعا المعاش، يقول البوست:

«نحننا ما منشوف كوابيس بنومنا..

كوابيسنا بتبلس بس نفيق».

وناقل الكفر ليس بكافر

## رغيف الخبز من أزمة إلى أخرى دون حلول..



تفانم جديد لأزمة الخبز يلوح في الأفق، وقد بدأت ملامحه بالظهور من خلال زيادة الإزدحام أمام المخازن والأفران، وتوقف بعضها عن العمل، فيما تزايد نشاط السوق السوداء على الرغيف.

## ■ نوار الحمشقي

إنجاز رقمي ووفر فهذا شأن آخر! فجزء هام من «الوفر» المحقق بهذا الصدد كان على حساب حاجات الاستهلاك الفعلي للمواطنين من هذه المادة الغذائية الحياتية، المرتبطة بالأمن الغذائي!

ومع هذا الشكل من التغني بالأرقام المنجزة والمحقة قد لا نستغرب لاحقاً أن تجري عمليات تخفيض إضافية على حصة المواطن اليومية من هذه المادة «المدعومة»، فهذا سيحقق وفراً إضافياً دون أدنى شك!

في المقابل، تجدر الإشارة إلى أن تطبيق الإجراء أعلاه، يعني: أن عوز المواطنين لمادة الخبز كان مصدراً أساسياً من مصادر الوفر، الذي يتغنى به مدير المخازن، فما تم اقتطاعه من كميات بموجب المسقوف المفروضة، دون اعتبار لحاجة الاستهلاك الفعلي للمواطنين، دفع هؤلاء إلى اللجوء لتأمين حاجاتهم عبر البدائل المتاحة، وأولها: هي السوق السوداء للرغيف التمويني أمام المخازن والأفران، الأمر الذي عزز من وجود هذه السوق، بل وأهميتها وضرورتها مع الأسف!

## تهاوي الزرائع

أن يصل سعر ربة الخبز التمويني إلى 800 ليرة، استغلالاً وفساداً، عبر شبكات السوق السوداء التي تعمي عنها عيون الرقابة والمحاسبة، تسقط معه وأمامه كل الزرائع التي كانت تتحدث مثلاً عن تهريب هذا الرغيف وبيعه كعلف، مع عدم نفي ذلك طبعاً، كما تسقط معه وتتهوى كل الإجراءات التي تم اتخاذها على أنها لمصلحة المواطنين، وضماناً لوصول «الدعم» لمستحقيه.

ما تم اقتطاعه من كميات دون اعتبار لحاجة استهلاك المواطنين دفع هؤلاء إلى اللجوء إلى تأمينها عبر البدائل وأولها السوق السوداء للرغيف أمام المخازن

طوابير الانتظار أمام المخازن لم تنخفض برغم كل ما تم الترويج له عن آليات العمل بموجب ذكاء البطاقة، وإجراءات تحديد الكميات وتخفيضها، وغيرها من الإجراءات الأخرى، وقد وصل سعر ربة الخبز أمام أفران ابن العميد إلى 800 ليرة. الأمر لم يقف عند حدود رغيف الخبز التمويني، فطوابير الانتظار شملت المخازن السياحية أيضاً، هذا في حال من الممكن استمرار تسميتها كذلك!

## التغني بالوفر على حساب الحاجة

بعد أن تم وضع سقف استهلاك للمواطن بمعدل ثلاثة أرغفة يومياً فقط، وذلك على ضوء تطبيق نظام الشرائح في بيع الخبز عبر البطاقة الذكية، طالعنا مدير عام السورية للمخازن، عبر إحدى الصحف المحلية، ببعض الأرقام التي تقول: إن الآلية المتبعة حققت وفراً في الدقيق التمويني بحوالي 100 طن يومياً، وأغرقتنا بسرد بعض الأرقام الإضافية بغاية تعزيز القناعة بإيجابية الآلية الجديدة بسقوفها الاستهلاكية، والمزيد من التسويق لها.

من المفروغ منه، أن تخفيض كميات الخبز الموزعة عبر البطاقة الذكية للمواطنين سيؤدي إلى تخفيض مقابل كميات الدقيق الداخلة في تصنيع الرغيف، وإلا فما الغاية من وضع المسقوف للاستهلاك إن لم تحقق هذه الغاية المرجوة من قبل صانعي ومسوقي قرار التخفيض أصلاً! لكن أن يجري الحديث عن هذا التخفيض، على الدعم عملياً، على أنه

يوماً ما كانت مساحات الغابات في سورية تشكل نسبة 32% من الأراضي السورية، وذلك في مطلع القرن العشرين هذه المساحات انخفضت إلى أقل من 2.8% من مجمل مساحات الأراضي بمساحة تختلف تقديراتها بين 522-580 ألف هكتار. هذه المساحة المسجلة منذ التسعينات وحتى اليوم دون تغيرات تذكر ربما تكون قد تقلصت بمقدار يفوق الربع خلال أكثر من عشر سنوات مضت... وخسرنا ما يزيد على 140 ألف هكتار من الغابات.

## حرائق الغابات في سورية:

# ما الرقم الدقيق... وما السبب الفعلي؟



في الإحصائيات الرسمية ينجم عن نشر أرقام تاشيرية خلال الأزمة، وليس إحصاءً دقيقاً. ولم تتغير مساحة الحراج والغابات في محافظة اللاذقية التي تشتمل على مساحة 14% من الحراج السورية خلال سنوات الأزمة جميعها بما يتناقض مع سلسلة الحرائق الواسعة في عام 2016 وبقية المساحة مثبتة عند رقم 85 ألف هكتار، وحتى في الفترات السابقة للأزمة لا تنشر الإحصائيات الزراعية تغيرات في مساحات الحراج الطبيعية، بل تغير فقط من مساحات الحراج بناء على توسع عمليات الحراج الاصطناعي والتشجير.

ووفق البيانات المنشورة في البحث فإنه بين عامي 2010-2016 أدت الحرائق إلى أضرار في مساحات الغابات قاربت: 21,5 ألف هكتار من أراضي الغابات... عبر أكثر من 3600 حريق كان أوسعها مساحة في عام 2012، وأكثرها عدداً في عام 2016.

الإحصائيات البيئية هي أقل الإحصائيات تفصيلاً في سورية، ورغم ارتفاع وتيرة الحرائق خلال العقد الماضي، وانعكاس التغيرات المناخية عالمياً في زيادة الحرائق عالمياً، إلا أن البيانات السورية لا ترصد دورياً هذه الحرائق أو لا تتيحها للجمع. وما ينشر عن الحرائق وخسائر مساحات الحراج يتباين إلى حد بعيد بين التقديرات الدولية والتقديرات المحلية...

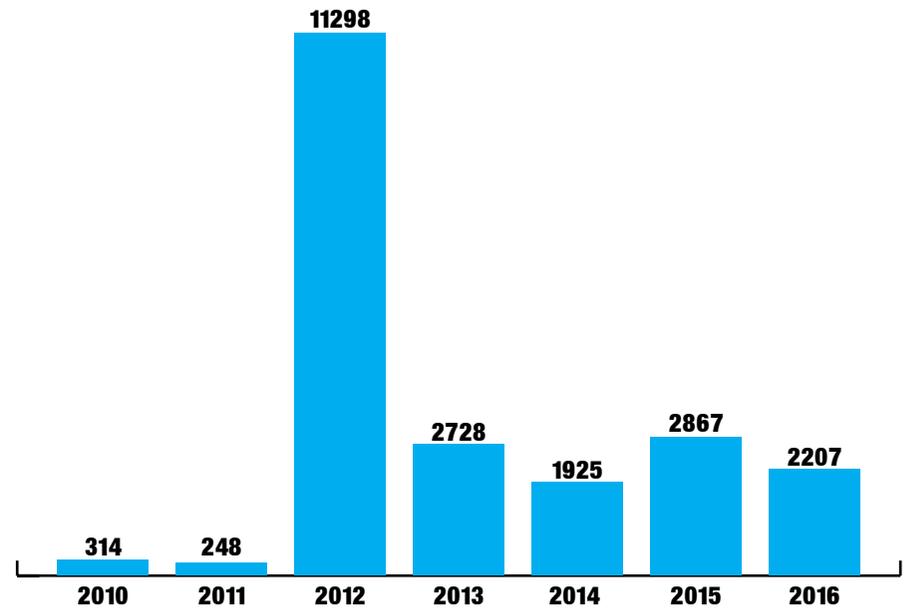
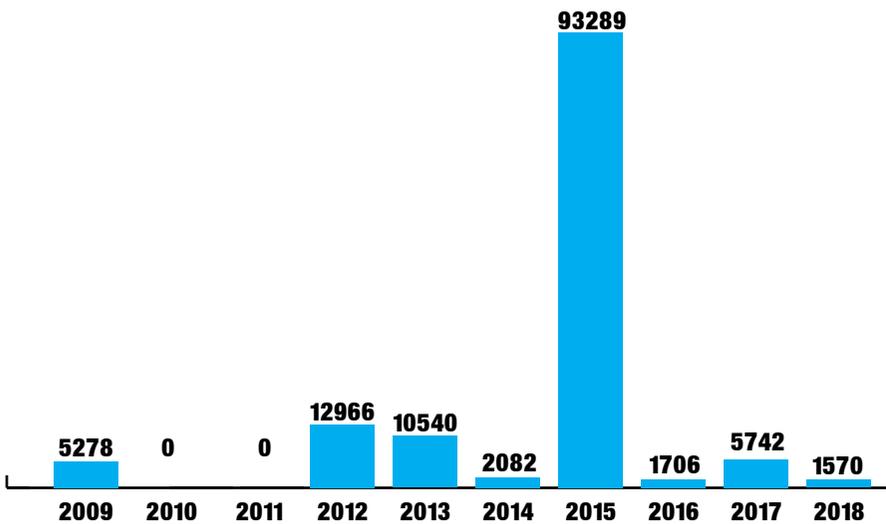
### ■ عشر محمود

#### التقديرات الرسمية: «الغابات بخير»!

في دراسة حول التغيرات البيئية والمناخ في سورية منشورة في عام 2018 في المركز الوطني للسياسات الزراعية، فإن مساحات الحراج والغابات في سورية تراجع بنسبة أقل من 2% وخسرت حوالي 11 ألف هكتار من المساحات. وتشير الباحثة إلى أن هذا التراجع القليل المنشور

### التقديرات الرسمية لمساحة الأراضي الحراجية المتضررة بالحرائق - هكتار

### التقديرات الدولية لمساحة الأراضي الحراجية المتضررة بالحرائق - هكتار



\* منقولة عن تحقيق استقصائي سوري، وعن نظام معلومات حرائق الغابات الأوروبي EFFIS.

أب- 21 أيلول بلغت: 9000 هكتار من أراضي الغابات. الجزء الأكبر منها كان في محافظة حماة في مناطق الغاب ومصيف بحوالي 3970 هكتاراً تقريباً، ثم في مناطق متفرقة في اللاذقية بحدود 4000 هكتار تقريباً، أعلاها في الحفة بمساحة: 2000 هكتار تقريباً، مع 400 هكتار في جسر الشغور، والباقي موزع في مناطق أخرى في تللك في حمص وصافيتا والدريكيش القدموس في طرطوس، وهي مجموعها أراض حراجية.

#### موجة الحرائق الأولى في 2020

الموجة الأولى من الحرائق خلال شهري آب وأيلول في عام 2020 لم تصدر عنها تقديرات رسمية شاملة، باستثناء مديرية حراج ريف حماة التي أشارت إلى أن حرائق مناطق الغاب ومصيف اشتملت على قرابة 3895 هكتاراً حتى نهاية أيلول. بينما رصد مركز الإنذار المبكر والاستشعار عن بعد في لبنان بتاريخ 21 أيلول 2020 تقديراً لمجموع الحرائق السورية بالفترة بين 11

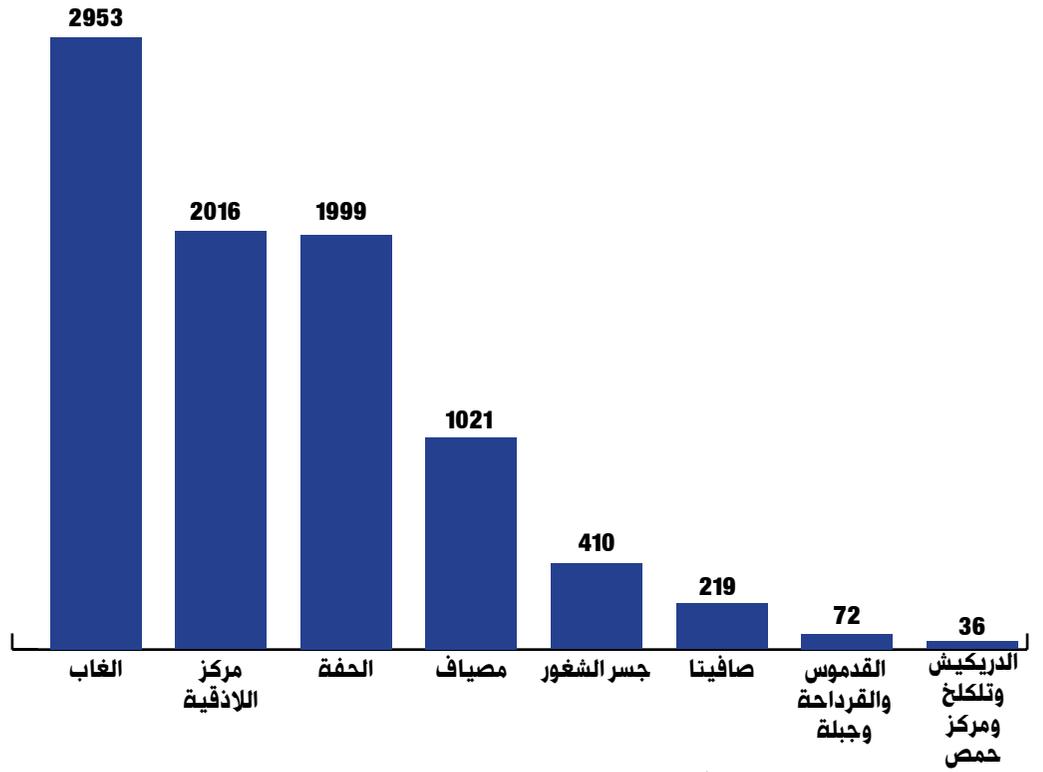
معلومات منقولة عن تقرير لمديرية الحراج في زراعة اللاذقية، التي قدرت أن الغابات السورية خسرت ربع مساحتها خلال سنوات الأزمة. وهو التقرير غير المنشور، ولكنه واسع التداول نقلاً عن إحدى الصحف السورية التي تم إيقافها عن العمل في سورية. ولكن التباين الكبير بين الإحصائيتين وتحديداً في عامي 2015-2016 يطرح تساؤلات حول الفوارق الكبيرة في الأرقام، وتحديداً حول وجود تقدير غير دقيق لحجم الحرائق واتساعها في عام 2015.

#### تقديرات دولية

##### «خسرنا ربع الغابات»!

بالاعتماد على بيانات موقع EFFIS الدولي لرصد الحرائق عبر الأقمار الصناعية: The European Forest Fire Information System، فإن المساحات المتضررة بالحرائق في سورية خلال الفترة بين 2008-2018 وصلت إلى 130 ألف هكتار تقريباً، وهي نسبة 23-25% من مساحات الغابات السورية، وفق تقديراتها الرسمية وتقديرات منظمة الفاو. الملفت، أن هذه التقديرات تراكمت مع

## تقديرات مساحات الحرائق السورية خلال الفترة بين 11 آب - 21 أيلول 2020 - هكتار



نقلًا عن مرصد الإنذار المبكر - لبنان.



الاقتصادية لهؤلاء. إن حرائق تطلت عشرات آلاف الهكتارات يمكن أن تكون بمثابة ثروة موعودة وسوق هامة، وتتيح تغيير تركيبة الأراضي الزراعية والاستيلاء على الأحراج، والاستفادة من توسيع عملية التحطيب بشكل منظم. وإن كانت موجة واحدة من الحرائق قد قضت على هذا العدد من الأشجار بمعدل يزيد على 1,5 مليون شجرة، فإن تجارة الفحم والتحطيب تقضي على أعداد كبيرة من الأشجار ولكن بصمت طوال السنوات الماضية.

### عدم القدرة على الإطفاء

أخيراً ما يمكن قوله حول الحرائق، هو «العورة» التي كشفها ضعف القدرة على الإطفاء، والتي تعود بالدرجة الأولى إلى التراجع الكبير في الإنفاق على خدمات الدفاع المدني. ففوج إطفاء اللاذقية على سبيل المثال معني بحرائق قد تطلت 85 ألف هكتار من أراضي الغابات، ولكنه لا يمتلك سوى 34 سيارة إطفاء، كان على كل سيارة منها أن تغطي مساحاً تفوق 200 هكتار من الحرائق في الحريق الأخير الممتد على أكثر من 7000 هكتار في اللاذقية وحدها... كما بينت سلسلة الحرائق أن مستوى انخفاض الإنفاق والخدمات منتهن إلى حد أن عمال فوج الإطفاء يطالبون بأجهزة لاسلكية للتواصل فيما بينهم لم يتم توفيرها...

تشير دراسة السياسات الزراعية المذكورة سابقاً إلى أن المساحات المحترقة في الحريق الواحد في سورية ارتفعت من 0,6 هكتار للحريق الواحد في 2010 إلى 5,8 هكتار للحريق في 2015، ما يشير إلى التراجع الكبير في القدرة على إطفاء الحرائق وتضييق أثرها، حيث إن عدداً أعلى من الحرائق في 2010 كان يؤدي إلى أضرار أقل بالمساحات في سنوات الأزمات، مع تراجع جملة القدرات والخدمات العامة والإنفاق الذي انعكس أيضاً في خدمات الدفاع المدني والإطفاء تحديداً كما ذكرنا وقدرات مراكز الحراج.

الحراجية إلى إتاحة استثمار واسع ومنظم لمساحات حراجية تعرضت للحرائق عبر تنظيم عمليات تحطيبها لاحقاً تحت ضغط الأمر الواقع، كما تتيح الحرائق تغيير بنية المنطقة الحراجية وتفتح احتمال تحويلها للاستثمار الزراعي والعقاري.

والأهم من ذلك، أن نشاط قطاع التفحيم قد يكون المسبب المباشر لهذه الحرائق، وتحديداً أن معظمه غير منظم، ويتم في قلب الغابات، وهو الذي يعتمد على إنشاء المشاحم لإحراق الحطب الأخضر، ويمكن أن يسبب انتقال النار في الأجواء المناسبة. حيث تشير بعض التقديرات إلى وجود أكثر من 1500 مشحمة مرخصة، وأكثر منها مشاحم غير نظامية تنتشر في معظم ريف المنطقة الساحلية.

وفق أحد التحقيقات الاستقصائية، فإن سلسلة إنتاج ومبيع الفحم في مناطق الساحل السوري تمر بالشكل التالي: يبيع الحطابون الحطب الأخضر إلى المشاحم «أو المفحمة» وهي حفرة يحرق فيها ما يقارب طنًا من الحطب الأخضر لينتج قرابة 300 كغ من الفحم الطبيعي. ويختلف سعر المبيع وفق نوع الحطب، ولكنه كان يتراوح في العام الماضي ما بين 40-150 ليرة للكيلو من الزيتون وصولاً إلى السنديان وهو الأعلى ثمنًا. أما أصحاب المشاحم ومعظمها غير مرخصة، فهؤلاء يبيعون لتجار كبار ووكلاء يستلمون المنطقة بمعدل كان يصل في العام الماضي إلى 500 ليرة للكيلو من الفحم الطبيعي. أما سعره في المدن للمقاهي والمحال أو لحطب التدفئة فيتباين كثيراً، ولكنه لا يقل عن 1500 ليرة للكيلو. وبعض التجار يقدمون مبلغاً مقطوعاً بالدولار لأصحاب المشاحم تختلف حسب الكمية ونوع الحطب.

إن هذه التجارة تتضمن مزايا تصل إلى 300% وهي تعتمد على حاجة أبناء الريف إلى أي مصدر دخل إضافي، وعلى جملة النشاط الشرعي وغير الشرعي للمشاحم، الذي يمكن أن يغويه حملة السلاح وينظم تجارته غير الشرعية أمراء الحرب، وهي ظاهرة متوسعة ومعروفة في المنطقة وواحدة من النشاطات

إن الحرائق الكبرى التي طالت الحراج والأراضي الزراعية خلال هذا العام تلتفت النظر إلى جملة من المسائل، أولها وأهمها: ضعف الاهتمام والتعظيم على هذه الثروة... الأمر الذي ينعكس في بيانات وإحصاءات رسمية غير دقيقة تثبت مساحة الغابات في سورية، وتعكس إخفاء الوقائع أو التعمي عنها أو بالحد الأدنى عدم اهتمام وتقدير لحجم هذه الثروة. حيث بعض المقارنات الدولية التي قد لا تكون دقيقة تماماً بالمقابل تشير إلى أن غابات سورية قد تكون تراجعت بمقدار الربع خلال سنوات الأزمة، مع كل ما يكتنفه هذا من خسائر مستدامة قد تكون غير قابلة للتريم مع خسائر في البيئات الحيوية، والأنواع النباتية التي تقوم في هذه الغابات.

الحرائق تعكس أيضاً تراجع القدرة على إدارة أزمات من هذا الحجم، وهي أزمات متوقع تكرارها في ظل ظروف سياسية تدفع جهات مشبوهة إلى إثارة الفوضى بأية طريقة، وظروف مناخية ترفع معدلات الحرائق عبر العالم وفي منطقتنا، وظروف اقتصادية تدفع إلى توسع النشاط غير المنظم والجائر، الذي يستهدف هذه الثروة، والذي يمكن أن يكون مسبباً في إيقاد الحرائق عبر المشاحم، أو عبر الرغبة بالاستيلاء على الأراضي الحراجية وتحويلها للاستثمار.

إن إدارة هذه المناطق بطريقة فعالة تتطلب قدرات إنفاق وخطط أزمات وكوارث وتجهيزات، ولكن الأهم: أنها تتطلب وعياً لحجم كارثة من هذا النوع وأثرها المستقبلي... تتطلب وجود مفهوم وطني للتعامل مع البيئة، وتتطلب أيضاً إيجاد سياسات تربط السكان المحليين بهذه الغابات، وتدفعهم لحمايتها عبر استفادتهم المنظمة منها، وليس عبر دفعهم تحت وطأة الفقر للجور عليها تحطيباً وتفحيماً وتعدياً تحت غطاء كبار التجار والسماسرة.



فقد طالت 200 ألف شجرة تقريباً تشكل نسبة 2% من مجموع الأشجار في المحافظة. وقدرت مديرية الزراعة خسارة الإنتاج في الحمضيات بمقدار 17 ألف طن من إنتاج المحافظة الذي يقارب 860 ألف طن.

خسائر أخرى عديدة طالت أشجار التفاح والرمان، والمناحل وبعض المداجن ورؤوس ماشية في المحافظاتتين، ولكن بمعدل أقل من الأضرار في الزيتون والحمضيات... بينما لم ترصد الأضرار المقدره الضرر في الحراج في موجة الحرائق الثانية، ولم تكتمل بيانات الأضرار الإجمالية بعد.

### الرغبة في الإشعال واستثمار الحراج

قليل الكثير حول افتعال الحرائق وأسبابها، ورغم أن موجة الحرائق الأخيرة كانت إقليمية وطالت لبنان والأراضي المحتلة في فلسطين، إلا أن وتيرة الحرائق وكثافتها فتحت الشكوك في سورية، وهي المبينة على جملة تقديرات سياسية واقتصادية... وإن كانت الغاية السياسية من افتعال الحرائق محققة باعتبارها تفيدي في إثارة الهلع والفوضى والاضطراب، وتؤدي إلى أضرار مباشرة في معيشة السكان، وهو هدف معلن في سورية لفوضى الفوضى في كافة مواقعها السياسية... فإن الأسباب الاقتصادية المرتبطة بنشاط وضع اليد على الأراضي الحراجية واستثمارها قد لا يكون أقل أهمية.

يربط البعض بين ظاهرة التفحيم وبين الحرائق الحراجية، ولكن الربط غير دقيق تماماً... فقطع التفحيم لا يستفيد من احتراق الأشجار مباشرة، لأنه يحتاج إلى تقطيع الأشجار بشكل نوعي وانتقائي لتحويلها إلى فحم غالي الثمن. ولكن بالمقابل، تؤدي الحرائق

### الموجة الثانية

10% من زيتون اللاذقية و2% في طرطوس أما حرائق شهر تشرين التي توزعت بين الأراضي الحراجية ووصلت إلى الكثير من الأراضي الزراعية، فلا تزال تقديراتها المحلية تصل تبعاً، حيث أشارت إلى بلوغ الحرائق في اللاذقية مساحة تراوحت بين 7200-8000 هكتار من الأراضي، وفي طرطوس بمساحة قاربت 1225 هكتاراً، بينما لم تصل التقديرات حتى الآن حول الأراضي المحروقة في ريف حمص الغربي الذي طالته الحرائق أيضاً، وإن كانت بمعدل أقل. ما يشير إلى أن حرائق الأشهر الثلاثة الأخيرة قد طالت مساحات تقارب 18 ألف هكتار تقريباً من الأراضي موزعة بين الحراج والأراضي الزراعية.

تنوعت الخسائر في موجة الحرائق الكبيرة، وطالت الأراضي الزراعية وبعض المواسم. إجمالي المتضررين المحصى حتى الآن: أكثر من 13 ألف أسرة في اللاذقية، وأكثر من 3000 أسرة في طرطوس، بينما كانت إحصائيات أخرى قد أشارت إلى أن عدد النازحين في وقت الحرائق في اللاذقية وصل إلى 30 ألف أسرة. تعتبر أشجار الزيتون هي الأكثر تضرراً، ففي اللاذقية طالت الحرائق 1,1 مليون شجرة زيتون نسبة 10% من مجموع الأشجار في المحافظة، والبالغة قرابة 10 ملايين 9 ملايين منها في طور الإنتاج. أما في طرطوس فإن نصف المساحات المحروقة تقريباً وأكثر من 1000 هكتار طالت أراضي مزرعة بالزيتون، وتضرر ما يقارب 230 ألف شجرة هي نسبة: 2% من مجموع الأشجار المقدر في المحافظة والبالغ 11 مليون شجرة.

أما أضرار الحرائق على الحمضيات في اللاذقية

# أزمة البنزين.. لمن الكلمة والقول الفصل؟



لم تسفر كل الوعود المقطوعة بشأن أزمة البنزين الحالية عن أية حلول حتى الآن، وكل ما جرى تطبيقه رسمياً بهذا الصدد: هي محاولة التخفيف من شدة الازدحام على الكازيات، والتي لم تسفر عن نتائج إيجابية كذلك الأمر، وبالعمق تخفيض إضافي للدعم عن المادة.

■ عادل إبراهيم

أزمة البنزين تفاقمت وتزايدت، كما تزايدت على هامشها عوامل الاستغلال والفساد، حيث استعرت السوق السوداء على المادة، وتزايدت مظاهر المحسوبية والوساطة والاستقواء أمام الكازيات.

## الأزمة وشرعنة الإجراءات والسوق السوداء

أزمة البنزين الحالية تفاقمت منذ ثلاثة أشهر تقريباً، وقد بدأت في بعض المحافظات، ثم ما لبثت أن شملت المحافظات كافة، وقد جرى الحديث بدايةً: أن السبب هو فتح الطرق بين المحافظات بعد فترة الحظر بنتيجة إجراءات الكورونا، بالتوازي مع الحديث عن تزايد حركة الأليات مع موسم السياحة، ثم الحديث عن توقف مصفاة بانياس من أجل عمليات الصيانة، وبأن الأزمة ستحل بمجرد إعادة إقلاع المصفاة، وطبعاً جرى التنويه إلى قلة التوريدات من المادة ربطاً مع العقوبات والحصار.

ربما تجدر الإشارة إلى أن أزمة البنزين، والمشتقات النفطية عموماً، تعتبر من الأزمات المستمرة والمزمنة، حتى مما قبل سني الحرب والأزمة، لذلك لن نغوص في متاهات التبريرات المقدمة حيالها وتفنيدها، حيث تساقطت هذه التبريرات تبعاً، بما في ذلك ما يتعلق بالانفراج بمجرد الانتهاء من عمليات الصيانة لمصفاة بانياس، فالأزمة ما زالت مستمرة ومنفاقة حتى الآن، لكن ربما سنقف عند الإجراءات المتخذة على أنها حلول لهذه الأزمة، مع نتائجها المستمرة فسأداً واستغلالاً.

فالأزمة، ومع طول مدة استمرارها، شرعت كل الإجراءات والظواهر التي نشأت بسببها

وعلى هامشها وبعمقها، اعتباراً من إجراءات تخفيض الدعم على المادة، مروراً بالطوابير الممتدة التي أصبحت كأنها طبيعية، وليس انتهاءً بشبكات الاستغلال والسوق السوداء التي كبر حجمها وتضخم ودورها.

## تخفيض الدعم المتناقص

في عام 2018 تم فرض التعامل مع البطاقة الذكية من أجل توزيع وبيع البنزين، وذلك من أجل تحديد كميات التعبئة بكل آلية، باعتبار أن المادة «مدعومة» ويجب أن يوجه الدعم لمستحقيه، حيث تم وضع سقف للكميات المسوح التعبئة بها لكل آلية بحسب نوعها «عامة للنقل الجماعي - خاصة».

بعد عام، أي: في 2019، تم إدخال نظام الشرائح بحسب سعة محرك الآلية، حيث تم إيقاف تزويد الآلية التي يتجاوز سعة محركها 200 سم، بالإضافة إلى كل فرد مسجل باسمه أكثر من الآلية واحدة خاصة، وغيرها من الإجراءات الأخرى.

في عام 2020 تم تخفيض كميات التعبئة بكل آلية مع وضع هامش زمني بين التعبئة والأخرى بحسب نوع الآلية، وكذلك الكثير من التعليمات التي ركزت على إجراءات التعبئة وضبطها.

طبعاً تخلل كل ذلك إجراءات إضافية، مثل: «الصبغة» التي تم الترويج لضرورتها منعاً من تهريب المادة، وصولاً إلى تعديل أسعار المادة بحسب النوع والمواصفة، وأخيراً قرار رفع سعر الأوكتان 95، لكن كل تلك الإجراءات التي ركزت على تخفيض الدعم المتتالي عملياً لم تحل الأزمة، بل فاقمتها، بدليل استمرار الطوابير، واستمرار السوق السوداء.

الالتفاف على النقص بإجراءات قاصرة الواضح، أن التعامل مع المشكلة من خلال

إجراءات تخفيض الدعم لم يرافقه توفير الكميات الكافية من المادة عبر الكازيات، باعتبار أن المشكلة الأساسية تتركز في هذا الجانب بدايةً، لذلك فإن مشكلة الازدحام والطوابير لم تحل كما يجب، بل تزايدت مع تزايد نشاط السوق السوداء التي عكفت على توفير جزء من نقص الكميات بطرقها الخاصة، تهريباً أو فساداً، وهذه تلك كانت وسيلة لاستغلال حاجة المواطنين، حيث وصل سعر ليتر البنزين، بغض النظر عن مواصفته ونوعه، إلى 2000 ليرة، وأحياناً إلى 3000 ليرة، استغلالاً للحاجة، وبحسب المكان والزمان.

والنتيجة، أن الدعم المتناقص على المادة لم يحل لا مشكلة الازدحام والطوابير ولا مشكلة ظهور السوق السوداء، بل على العكس فإن خسارة الدعم وتخفيض كميات التعبئة وزيادة المدة بين التعبئة والأخرى كانت فرصة مواتية لزيادة نشاط واستحكام السوق السوداء، التي فرضت وجودها كسوق موازية دائمة، بشبكتها العاملة واليات عملها.

إخفاء الطوابير لا يعني إنهاء المشكلة ما جرى على مادة البنزين خلال السنوات الطويلة الماضية وحتى تاريخه، وما تم اتخاذه من إجراءات حتى الآن، يذكرنا بما جرى على مادتي مازوت التدفئة والغاز المنزلي، وخاصة فيما يتعلق بتخفيض الدعم، وربما الفارق حتى الآن أن الإجراءات المتخذة بشأن هاتين المادتين أخفت طوابيرها فقط، لكن لم تحل مشكلتها، بينما الحلول المعمول بها بشأن مادة البنزين لم تخف الطوابير حتى الآن.

فالسوق السوداء على هاتين المادتين، وبسبب استمرار أزمتهما دون حلول نهائية لها، أصبحت تعمل بكل أريحية وبعيداً عن الفضاخ التي كانت تتمثل بالطوابير كشكل واضح لهذه الأزمات، فالرسالة الذكية أثبتت جدواها بهذا الصدد، حيث تمت التغطية على الأزمة بدلاً من حلها، مع غض الطرف طبعاً عن شبكات السوق السوداء العاملة في عمقها

استغلالاً لحاجات المواطنين منها، فمازوت التدفئة لم يجر توزيعه حتى الآن كما هو مفترض وبحسب الوعود الرسمية، وأسطوانة الغاز المنزلي عبر رسائل الذكاء أصبحت كل شهرين وقد تم تجاوز هذه المدة حالياً، وكذلك لم تحل أزمة البنزين المزمنة، ويبدو ألا حلول قريبة لها، وذلك لسبب أساسي، أن الحلول المقترحة والتي يتم تنفيذها تتعامل مع الجانب الشكلي للأزمة، وليس مع جوهرها وأسبابها الحقيقية، حالها كحال بقية الأزمات المزمنة الأخرى.

فهل سيتم تعميم آلية الرسالة الذكية لتعبئة البنزين مثلاً للهروب من حل الأزمة من جذورها، وللتغطية على استغلال السوق السوداء وشبكتها واستغلالها، أم إن فضاخ الطوابير هي التي ستستمر، باعتبار أن آلية الذكاء عبر الرسائل قد تكون غير مجدية بالنسبة لهذه المادة؟

## الحيثان أكبر من الدولة

إذا كانت النوايا واضحة بشأن رفع الدعم عن المشتقات النفطية تبعاً، وهو ما جرى ويجري بالتوافق مع السياسات الليبرالية المتبعة منذ عقود بشأن الدعم عموماً، والتي تزايدت وتसरعت خلال سني الحرب والأزمة وبسببها كذريعة مستجدة، فإن الصمت عن تغول الفساد وعوامل الاستغلال وعن شبكات السوق السوداء، أصبح أكثر وضوحاً، ولم يعد من المجدي دفن الرأس بالرمال حياله! فالمشكلة بالكميات غير الكافية من المشتقات النفطية، التي نشأت على هامشها السوق السوداء، وهي ليست جديدة وليست وليدة الأزمة والعقوبات، كما يريد البعض أن يصورها، بل عمرها عقود، وربما الأزمة والعقوبات والحصار كانت فرصة نهب واستغلال إضافية كان المستفيد منها: شبكات الفساد والسوق السوداء، وحيثان الاستيراد والتهريب الكبار، الذين أصبح لهم الكلمة وقول الفصل على ما يبدو، بدليل استمرار الأزمات، بما فيها المفتعل، دون حلول، وكان هؤلاء أكبر من الدولة ومؤسساتها وأجهزتها وإمكاناتها!

# روسيا وتركيا «شراكة تحتوي طبيعة إستراتيجية»



دولياً كما هو حال مؤتمر سوتشي حول سورية، وما نتج عنه من مخرجات فرضت شكلاً محدداً على أوروبا والولايات المتحدة بحل الأزمة السورية.

**الأزمة الاقتصادية - الناتو - واس - 400**  
أخيراً وليس آخراً، فإن الأزمة الرأسمالية التي تعصف بالمركز الأمريكي قد أوجدت صداها في الداخل التركي، بالتراب مع مصلحة الأمريكيين والأوروبيين بإفشال التفاهات الروسية - التركية، فضلاً عن الخلافات داخل حلف الشمال الأطلسي، التي بمجموعها دفعت وتدفع تركيا نحو إيجاد البدائل الاقتصادية والعسكرية والسياسية عن الغرب، عبر التوجه شرقاً، لتزيد نسبة الاتفاقيات الاقتصادية والتجارية بين أنقرة وموسكو أو بينها وبين بكين، وليزيد حجم التعاون العسكري التركي - الروسي الذي نتج عنه توريد منظومة إس-400 الروسية على حساب باتريوت الأمريكي، وتشغيلها قبل عدة أيام رغم كل التهديدات الأمريكية.

بقية تصريح لافروف «المجتزأ» وما يعنيه ما قاله لافروف جرى اجتزأه كما ذكرنا، فالتصريح الكامل كان على الشكل التالي: «لم نعتبر تركيا يوماً حليفاً إستراتيجياً لنا، لكنها شريك قريب، وهذه الشراكة تحتوي طبيعة إستراتيجية بعدة جوانب منها».

اجتزأء القسم الأول وتداوله يعبر عن مصالح وأمال الوسائل الإعلامية التي تبنته ومن خلفها القوى التي تعبر عنها، إلا أن بقية التصريح توضح عكس الإيحاء المطلوب تماماً، حيث إن تطور العلاقات الروسية - التركية كان يمضي نحو تفاهات أعمق على طول الخط وبمختلف الملفات، ويتجاوز جميع العقبات أمامه، ولا يزال كذلك، ولعل النقطة الأهم التي تحرم الدولتين من التحالف الإستراتيجي الحقيقي، هي: وجود أنقرة كعضو في حلف الناتو الذي يعادي روسيا ويعمل على محاصرتها. فقبل خروج تركيا من هكذا تحالف لن يكون من الوارد الحديث عن تحالف إستراتيجي حقيقي.

أذربيجان وأرمينيا على الرغم من السلوك التركي المنحاز فيه، وبصرف النظر عن إمكانية الدولتين من متابعة وتطبيق الهدن الإنسانية الموقعة بين طرفي الصراع في الوقت الراهن، إلا أن هذه الخطوات الأولية تمثل أرضية الانطلاق للتسوية السياسية حول الإقليم اليتيم مستقبلاً.

## إسقاط الطائرة الروسية ومحاولة الانقلاب

بصرف النظر عن كيفية إسقاط الطائرة الروسية من قبل القوات التركية في عام 2015، بوصفها عمداً أو خطأ أو توريطاً لتركيا، إلا أن الخطوة لم تؤت ثمارها بالنسبة للقوى الغربية التي كانت تأمل بإنهاء وواد ملامح التقارب الروسي - التركي سياسياً، مما دفع تلك القوى إلى محاولات توتير الداخل التركي عبر محاولة الانقلاب الفاشلة في عام 2016 من قبل بعض قيادات وشخصيات الجيش التركي المرتبطة مع واشنطن تاريخياً، ولتجد تركيا في حينها صديقاً واحداً تعاون معها بالشكل الشرعي والقانوني سواء داخلياً، أو خارجياً، عبر فضح وإعاقة التدخلات الغربية وهو روسيا، مما شكل نقطة انعطاف بالسياسة التركية بعلاقتها مع موسكو نحو تقارب أكبر.

## ترويكاستانا

رغم بروز التفاهات الثلاثي بين روسيا وتركيا وإيران في سياق تطور الملف السوري، إلا أنه بدأ يتعدى حدود سورية ليشمل المنطقة كلها، ففي ملفات ليبيا واليمن والعراق وفلسطين ومؤخراً قره باغ، نجد دوراً للدول الثلاث نفسها في كل واحدة منها، وإن لم تنضج هذه الملفات بعد لتكون جامعة لها في الترويكاستانا، كما الحال مع الملف السوري، ففي كل واحدة منها نجد اتصالات بين هذه الترويكاستانا دفعاً للهدف ذاته، بالحصلة: تأريض التوتير وتعزيز آفاق التسويات السياسية، وبناءً على هذه التطورات، فإن ترويكاستانا تحمل بذوراً أوسع من المنطقة نفسها، حيث يؤثر نشاطها والتفاهات الجارية ضمنها

لافروف: «لم نعتبر تركيا يوماً حليفاً إستراتيجياً لنا»، دار هذا التصريح لوزير الخارجية الروسي، سيرغي لافروف، في وسائل الإعلام جميعها قبل بضعة أيام، معطياً إيحاءً بوجود مشاكل كبرى بين روسيا وتركيا، لم ولن يجري التفاهم حولها، وليبدأ المحللون العظميون ببناء رؤاهم واستنتاجاتهم الخاصة على العلاقات الروسية - التركية، بالاستناد إلى التصريح أعلاه... إلا أن الوقائع، والنتائج، وتطور الظروف، جميعها تقول عكس ذلك.

**تطور العلاقات الروسية - التركية كان يمضي نحو تفاهات أعمق على طول الخط وبمختلف الملفات ويتجاوز جميع العقبات أمامه ولا يزال كذلك**

منحى مغايراً تماماً، فبعد محاولة الانقلاب التركية وما نتج وتبين عنها بالنسبة لأنقرة، تغير سلوكها بشكل كبير مع الملف السوري، وبدأ التعاون مع موسكو، وصولاً إلى إنشاء ترويكاستانا الذي ضمت أيضاً إيران، رغم الخلافات وتباين الرؤى بين الدول الثلاث، ولتبدأ وتيرة الحرب السورية بالهبوط بشكل متسارع بين عمليات القضاء على الإرهاب، وتأمين مناطق خفض التصعيد، وتوفير ظروف المصالحات، وليس انتهاءً بدفع التسوية السياسية منذ مؤتمر سوتشي، وما نتج عنه من اتفاق تشكيل اللجنة الدستورية.

## ليبيا

في الملف الليبي، بتعقيده وارتباطه بملف شرق البحر الأبيض المتوسط، نجد سلوكاً مشابهاً لتركيا باصطفافها مع حكومة الوفاق الوطني بعد توقيع اتفاقية ترسيم الحدود معها، ومحاولة تركيا للتدخل بالشأن الليبي وتعويم «الوفاق» على حساب القوى السياسية الليبية الأخرى تأميناً لمصالحها، في مواجهة السلوك الأوروبي والأمريكي عبر محاولات تعويم المجلس الوطني بالنسبة لأوروبا، أو إدامة الصراع وإغراق تركيا فيه بالنسبة لواشنطن. ومع تعقد وتصاعد توتره بشكل حاد منذ أواخر العام الماضي، وصولاً إلى ذروته التي دفعت العديد بالاعتقاد بنشوء حرب تركية - مصرية، برز النشاط الروسي، ومعه بشكل جزئي نشاط ترويكاستانا نفسها، ونشوء تفاهات روسية - تركية - مصرية، أدت إلى التوصل إلى اتفاق وقف إطلاق النار، والدفع باتجاه التسوية السياسية، عبر مؤتمر برلين ومبادرة القاهرة وغيرها.

## ناغورني قره باغ

لم يكن غريباً تمكن كل من روسيا وتركيا التوصل إلى تفاهات حول الأزمة بين

## ■ يزن بوظو

في البداية، يجب التنبيه: أن التصريح المذكور هو تصريح مجتزأ من سياقه ليحمل معنى مناسب للوكالات التي تناقلته، لكن قبل العودة إلى التصريح، سنكتفي بذكر الأحداث الأكثر أساسية ومفصلية بمقطع زمني يشمل العقد الحالي وحده، بتطور كل ملف منها في إطار العلاقات بين موسكو وأنقرة، ثم جمعها ككل لرؤية المشهد العام الناتج عنها، ومن هذه الملفات والمفاصل: سورية، وليبيا، وقره باغ، إسقاط الطائرة الروسية، محاولة الانقلاب التركية، ترويكاستانا، خلافات الناتو - تركيا، خلافات الولايات المتحدة - تركيا، الأزمة الاقتصادية التركية ومخارجها، وليس آخراً منظومة الدفاع الروسية إس-400.

ورغم استحالة الخوض بكل ملف لوحده بمعزل عن التطرق للباقي لما لها جميعاً من تأثيرات متبادلة دفعت بعضها بعضاً، سنحاول البقاء عند حدود الفصل فيما بينها.

## سورية

شهد الملف السوري - بالجانب الدولي منه - فترتين أساسيتين، تميزت فيما بينها نقطة الدخول العسكري الروسي إليه في أواخر عام 2015، لتتغير المعادلات فيه وتقلب رأساً على عقب، وبين الفترتين نفسهما، تغير الخط التركي مع ملف الأزمة السورية، ولا بد من استنكار أن الجانب التركي قد كان - قبل الدخول الروسي تحديداً - جزءاً أساسياً في تصعيد الحرب لصالح واشنطن، ووصل ذروته في هذا السياق حينما أسقطت تركيا الطائرة الروسية في أواخر عام 2015، وسط ترقب الجميع بنشوء شرح حاد وعميق ينهي أي تقارب بين البلدين، بل وقد يدفع نحو الحرب فيما بينهما، إلا أن الأمور اتخذت

# الليبرالية الجديدة تقصف «مأمول العمر»



«أدى الانتقال إلى اقتصاد السوق والديمقراطية في دول أوروبا الشرقية والاتحاد السوفياتي السابق إلى زيادة هائلة بمعدل الوفيات في التسعينات، وتقليص عدد السكان وتقصير مأمول العمر بمقدار 2-3 سنوات. في روسيا، كان هذا التأثير هو الأكبر على الإطلاق بأي مكان وزمان سلمي وخالٍ من الكوارث الجسدية، كالحروب والأوبئة والمجاعة. تشكل هذه التجارب مادة غنية لفهم تأثير أنواع مختلفة من الاضطرابات الاجتماعية والضغط على معدل الوفيات ومأمول العمر Life Expectancy» - من مقدمة الدكتور فلاديمير بوبوف لبحثه بعنوان «الوفيات ومأمول العمر في البلدان بعد الشيوعية» المنشور بتاريخ 2018/6/5 في مركز أبحاث حوار الحضارات. نقدم في هذه المادة تلخيصاً لبحث بوبوف، ثم نختمها بمحاولة لفهم تغيرات مأمول العمر السوري منذ 2005 في ضوء النظرية العامة التي عرضها الباحث.

■ البروفيسور فلاديمير بوبوف  
تعريب وإعداد: د. أسامة دليقان

التغذية وتدهور البيئة والرعاية الصحية وإدمان الكحول والتدخين. وحتى تغير النظام الغذائي «من اللحوم والألبان إلى الخبز والبطاطا» ليس قادراً على زيادة الأمراض القلبية الوعائية «التي قتلت خصوصاً الرجال متوسطي العمر». كما أنّ انهيار الصناعة خفضَ الانبعاثات الملوثة. كذلك لا يكمن التفسير الأساس في نظرية «الصدى الديموغرافي» القائلة بأن ارتفاع معدل الوفيات خلال 1989-1994 كان مجرد صدى للانخفاض الذي حدث أثناء حملة غورباتشوف لمكافحة الكحول (1985-1987) لأن «الصدى» يفترض أن يكون قريباً من شدة الصدمة الأولية، وليس أكبر منها بعدة مرات كما حدث بالحالة المذكورة. ويتفق أغلبية الباحثين على أنّ زيادات الوفيات الناجمة عن أسباب خارجية «الحوادث، جرائم القتل، الانتحار» ليست السبب الأساس رغم مساهمتها بزيادتها العامة. ورغم أنّ فرضية زيادة إدمان الكحول تنافس فرضية الإجهاد النفسي على صدارة العامل الأهم، لكن من جوانب ضعفها: الإجهاد النفسي قد يقلل بلا إدمان - زيادة استهلاك الكحول قد يعزى لانخفاض أسعاره أوائل التسعينات - بيانات غير رسمية تشكك بجدوى حملة غورباتشوف ضد الكحول.

## العامل الرئيس: الإجهاد النفسي

ترتبط عوامل الإجهاد النفسي بالانتقال إلى اقتصاد السوق، مدفوعة بارتفاع البطالة، وتجديد العمالة، والهجرة، والطلاق، وانعدام العدالة بالدخل «أبحاث كوريا وبانينشيا 1997، الذي تم إنشاؤه من المتغيرات المذكورة أعلاه يعكس جيداً التغيرات بمأمول العمر في اقتصادات ما بعد الشيوعية، وخاصة لدى الرجال بالأربعينات والخمسينات من العمر. فهي أزمة كشفت ضغطاً اجتماعياً مؤثراً على مأمول العمر من النوع الذي يحدث مرة واحدة فقط كل ألف عام!

## الخصخصة والبطالة عوامل مميّنة

وفقاً لمسح واسع للأسر في بيلاروسيا

قوانين التسيخ البريطانية والثورة الصناعية من القرن 16 إلى 18، عندما انخفض مأمول العمر بنحو 10 سنوات «من 40 إلى 30 عاماً» بسبب تغيرات نمط الحياة، وزيادة اللادالة بالدخل، وإفقار الجماهير. [ملاحظة المعرب: يجري الكلام هنا تحديداً عن العمليات الوحشية للتراكم البدني لرأس المال. انظر مثلاً كتاب «أصل رأس المال»، ص 10-30 وغيرها، دار الطليعة الجديدة، دمشق 2016].

## قلب الإمبريالية يصاب بـ«أزمة العمر»

حدث مؤخراً (2015-2016) ركود «وحتى انخفاض» بمأمول العمر في الولايات المتحدة الأمريكية نفسها: انخفاض بمقدار 0,1 سنة بين 2014 و2015، ثم 0,1 سنة أخرى بين 2015 و2016. ومن بين دول منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية OECD، شهدت أمريكا ثاني أصغر زيادة إجمالية بمؤشر «مأمول العمر المعدل وفق الصحة» HALE بين عامي 2000 و2015 والتي بلغت 1,9 سنة فقط، بينما تمتعت أكثر من نصف بلدان المنظمة بزيادة فاقت 3 سنوات.

وارتفعت أيضاً «نسبة الوفيات المعدلة حسب العمر» للسكان البيض من غير الأصول الإسبانية/ اللاتينية الذين بسن العمل ومتنصف العمر «ولا سيما بعد العام 1998» - وهي ظاهرة نادرة جداً في بلد مرتفع الدخل. الأسباب المباشرة: التسمم والانتحار وأمراض الكبد المزمنة. وذكر ساكس 2018 «البدانة وتعاطي المخدرات والاكتئاب». ويفترح كيس وديتون 2015 علاقة ذلك بانعدام الشعور بالأمن الاقتصادي: «بعد تباطؤ الإنتاجية بأوائل السبعينات، ومع اتساع التفاوت بالدخل، كان العديد من جيل المولودين بفترة طفرة الازدهار هم أول من اكتشفوا، بمنصف العمر، أنهم لن يكونوا أفضل حالاً من آبائهم».

## عوامل ثانوية في أزمة الأعمار بعد الشيوعية

لا يمكن التفسير الكامل للزيادة المذهلة بوفيات المرحلة الانتقالية بعوامل «مادية» فقط: كانخفاض الدخل الحقيقي وسوء

1940 ليجد معدلات وفيات أعلى مما كانت عليه بالفترة 1995-2005.

تم ذلك بفترتين [انظر المنحني المرفق]: ارتفاع أولي بلغ ذروته في 1994 مع انخفاض لاحق، ثم ارتفاع بعد الأزمة المالية لعام 1998 حتى 2003، رغم أنها تراكمت مع زيادة إنتاج، ولكن مع بطالة متقلبة، لذا فإن أحد عوامل الإجهاد على الأقل لم يكن مساهماً بالطفرة الجديدة بمعدل الوفيات. ومع ذلك، ربما شكل الانخفاض الحاد بالدخل الحقيقي بعد أزمة آب 1998 عامل ضغط رئيس بحد ذاته، رغم المحدودية المحتملة لتأثيره المباشر «تدهور التغذية» على الوفيات. ولم تظهر تفاوتات الدخل، وتجديد العمالة، ومؤشرات الهجرة، ومعدل الطلاق، أية علامات انخفاض بعد أزمة 1998 وقبل 2002-2003، وبعدها استمرت البطالة والانخفاض وأخذت معدلات الطلاق تتخفص.

ولم تشهد روسيا أي انخفاض بمأمول العمر بفترة الركود 2008-2009، رغم الانخفاض الكبير بالإنتاج والدخول الحقيقية «أكثر من 10%»، وارتفاع البطالة من 5,4% في أيار 2008 إلى 9,4% في شباط 2009. خلال العقدين الماضيين من التحول، ربما تكيف الناس بالفعل مع الإجهاد النفسي وتوفي من فشلوا بالتكيف، بحيث لم تعد فترات الانكماش الاقتصادي مرتبطة بارتفاع معدل الوفيات.

## أزمة وفيات غير مسبوقه منذ قرون والوفيات!

كان الانخفاض بمأمول العمر للفترة 1990-2003 تطوراً استثنائياً من نوعه، إذ إنّ زيادة معدل الوفيات في دول ما بعد الشيوعية عزّ نظيرها في التاريخ إلا في منعطفات معينة مشابهة: المنعطف الأول: كان الانتقال من العصر الحجري القديم إلى الحجري الحديث منذ حوالي 7000 إلى 3000 قبل الميلاد، عندما انخفض مأمول العمر لعدة سنوات - ربما بسبب التغيرات بالنظام الغذائي ونمط الحياة «الانتقال من الصيد والالتقاط إلى البستنة وتربية الحيوانات». المنعطف الثاني: كان ارتفاع معدل الوفيات خلال فترة

تأثير قوة المؤسسات وتدرج الانتقال ارتبطت قصة الانتقال الشرقية إلى الليبرالية بصدمة مزدوجة: إصلاحات سوقية النمط «التحول الديمقراطي». وساهم إلغاء تنظيم الأسعار وإعادة توزيع رأس المال والعمالة، بشكل كبير بعوامل الإجهاد النفسي: ارتفاع البطالة والهجرة وتجديد العمالة والطلاق وانعدام العدالة بالدخل.

مع ذلك تمكنت البلدان ذات المؤسسات الأقوى، عموماً، سواء «الديمقراطية» كما في أوروبا الشرقية أو «الاستبدادية» كالصين وفيتنام، من التعامل مع الإجهاد أفضل من غيرها. وكانت الأنظمة «الاستبدادية» (الصين كمثال أساس) الوحيدة القادرة على اختيار وتنفيذ إستراتيجية انتقال تدريجي سمحت لها بتعديل زمن إعادة الهيكلة (إعادة توزيع رأس المال والعمالة) على فترة طويلة، وبالتالي تخفيف الضغوط المرافقة.

واستطاعت بلدان أخرى تدرجت بالإصلاحات «كأوزبكستان وبيلاروسيا» الحفاظ عموماً على القدرة المؤسساتية، وتجنب، أو خففت، انهيار الإنتاج وزيادة الوفيات. مثلاً: تراجع مأمول العمر في بيلاروسيا من 72 عاماً إلى 68 مقارنةً مع روسيا (من 70 إلى 64 عاماً). لم تشهد الصين وفيتنام ركوداً تحوّلانياً بالفترة الانتقالية، بل نما مأمول العمر فيها بطّراد، رغم حدوث ذلك في الصين ببطء شديد مقارنة بحكم ماو (إذ نما مأمول العمر بعده من 35 إلى 65 عاماً بين 1949 و1976).

وفي بلدان المؤسسات القوية كانت هناك حالة واحدة على الأقل «وهي كوبا» لم يترجم فيها انخفاض الإنتاج «حوالي 40% خلال الفترة 1989-1994» إلى أزمة وفيات، بل ارتفع مأمول العمر فيها من 75 عاماً بأواخر الثمانينات إلى 78 عاماً بحلول 2007.

## روسيا كنموذج للصدمة الليبرالية

ارتفع معدل وفيات روسيا من 1,0% إلى 1,6% (أي: بنسبة 60%)، بينما انخفض مأمول العمر من 70 عاماً سنة 1987 إلى 64 عاماً في سنة 1994، ارتفاع غير مسبوق لم يشاهد مثيل له طيلة الخمسينات إلى الثمانينات «أي طوال 40 عاماً»، وعلى المرء أن يعود إلى عام

# في زمن السلم والحرب

الجدول المرفق) هي أن وسطي الانهيار السنوي بمأمول العمر بالفترة الليبرالية ما قبل انفجار الأزمة في 2011 «سالب 0,387» كان أسوأ من نظيره بعد انفجارها «سالب 0,362»! ما يعني أن الليبرالية المتوحشة لها مفعول «عدوان حربي» حقيقي في قصف أعمار السوريين حتى في زمن «السلم». أما لماذا توقف انهيار مأمول العمر منذ 2015 «عند حضيض 69,82 عاماً في 2014 أي بنكوص نحو ربع قرن إلى مستوى العام 1988»! ثم بدأ يستعاد تدريجياً؟ فلا نملك أجوبة كاملة، لكن التغيير النوعي بمسار الأمور عسكرياً ثم سياسياً منذ ذلك الوقت ربما يساعد بالتفسير. هل لطف قليلاً من الإجهاد النفسي لدى الناس «عامل الأمل»؟ أم أنهم «تكيفوا» مع المصائب كما اقترح بوبوف في فرضية مماثلة أعلاه؟ لكن الاستعادة لمأمول العمر السوري ما زالت جزئية وبطيئة، لأن آخر مستوى معروف وصله «في 2018» ما زال مع ذلك أقل بمقدار 2,66 عاماً من الذروة التي كان عليها في 2005 «كما أنه أيضاً متخلف حوالي ربع قرن للوراء لأن مستواه في 2018 مساو تقريباً لما كنا عليه في 1994». وحتى مع معدل كهذا قد لا نستعيد مأمول أعمارنا إلى مستواه الذي كان عليه في 2005 قبل حلول منتصف العام 2023! مع ملاحظة أن مصدر بياناتنا يتوقف عند 2018، وأن مزيداً من الأزمات والفساد الليبرالي والعقوبات نشأت واشتدت خلال 2019-2020 ولا نعلم بالتالي ماذا حل بمأمول عمرنا اليوم بالضبط؟!

■ فلاديمير بوبوف: مدير أبحاث في مركز حوار الحضارات DOC «برلين». باحث أساس في المعهد المركزي للاقتصاد والرياضيات بأكاديمية العلوم الروسية. أستاذ مساعد بجامعة كارلتون في أوتاوا «كندا». له عشرة كتب ومئات المقالات. تخرّج من قسم الاقتصاد بجامعة موسكو الحكومية 1976، مرشّح علوم 1980 ثم دكتوراه بالعلوم 1990 من معهد الدراسات الأمريكية والكنديّة التابع لأكاديمية العلوم السوفييتية.

أربعة نماذج مختلفة خلال الفترة التاريخية المدروسة (1960 - 2018):  
 (1) الولايات المتحدة الأمريكية «كنموذج إمبيريالي»: تبدو ملاحظة بوبوف أعلاه حول الميل للركود والانخفاض بمأمول العمر الأمريكي واضحة من الشدفة الأخيرة من المنحني أدناه «بعد 2015» وهي ملاحظة بالغة الأهمية لارتباطها بالتراجع التاريخي لأمريكا كقوة عظمى، وأزمة نموذجها الحضاري عالمياً. لكن صعود منحنيها قبل تلك الشدفة ليس مستغرباً، نظراً للأرقام الفلكية التي نهبث بها، وما تزال، ثروات الكوكب وسكانه.  
 (2) كوبا «كنموذج اشتراكي طيلة الفترة المدروسة»: وتثير الإعجاب بقدرتها على زيادة مأمول العمر لشعبها بشكل مطرد حتى لحقت تماماً بالولايات المتحدة منذ 1973 تقريباً، وحتى اليوم رغم الحصار والعقوبات! راجع روسيا «كنموذج متعدد المراحل»: راجع شرح بوبوف عنها أعلاه - ولن نضيف هنا سوى أن التراجع النسبي بالتقدم الاجتماعي منذ عهد خروتشوف، لكن في الوقت نفسه استمرار قوة العطالة الاشتراكية السابقة، ربما انعكست محصلتهما في هذا الركود الطويل بمأمول العمر، قبل أن ينهار بشكل حاد ومتسارع بعد الانقلاب الرأسمالي الليبرالي الجديد «البيروسويكا»، ولم يعد للتحسن بشكل مطرد سوى منذ العام 2005.  
 (4) سورية «انظر المنحني والجدول»: نموذج لم يكن اشتراكياً لكن كان فيه توازن معين لاقتصاد يقدم حدود دنيا من الرعاية الاجتماعية لأغلبية الشعب، مما قد يفسر ما نلاحظه في المخطط من تزايد بمأمول الحياة «ولو أن المنحني تسطح بعض الشيء كما نلاحظ منذ الثمانينات مما يعكس تراجعاً» ثم مرحلة انعطافية كارثية «غير مسبوقه بتاريخ سورية الحديث» منذ 2005 مع التطبيق الواسع والحاد للنموذج النيو ليبرالي، رافقته مباشرة أزمة انهيار سريع بمأمول العمر الذي استمر بالتدهور مروراً بالانفجار الاجتماعي - السياسي 2011، ولم يبدأ بالعودة تدريجياً سوى بعد العام 2015. ولعل أهم نتيجة للحسابات التي قمنا بها «وفق



عمر أعلى دائماً بالمقارنة مع غير الشيوعية المساوية لها بمستوى التنمية. وحتى بعد تراجع أوائل التسعينات، كان مأمول العمر عام 2000 في الاقتصادات الانتقالية أعلى بخمس سنوات، مما يوحي به نصيب فرداً من الناتج المحلي الإجمالي. ودائماً ما كانت الدرجات التي تسجلها بمؤشر التنمية البشرية «المركب من مأمول العمر ومستوى التعليم ودخل الفرد» أعلى من درجاتها بالناتج المحلي الإجمالي للفرد.

## عمر الشعب السوري بعد 2005

قمنا باختبار النظرية التي عرضها الكاتب بوبوف أعلاه «نظرية التأثير المدمر للعلاج بالصدمة» النيوليبرالية على مأمول الحياة لمعرفة تأثير ما سمي «إصلاحات اقتصاد السوق الاجتماعي» في سورية التي بدأت بشكل متسارع منذ 2005. وللمقارنة اعتمدنا بيانات البنك الدولي لمأمول العمر الإجمالي total life expectancy لأربعة بلدان ذات

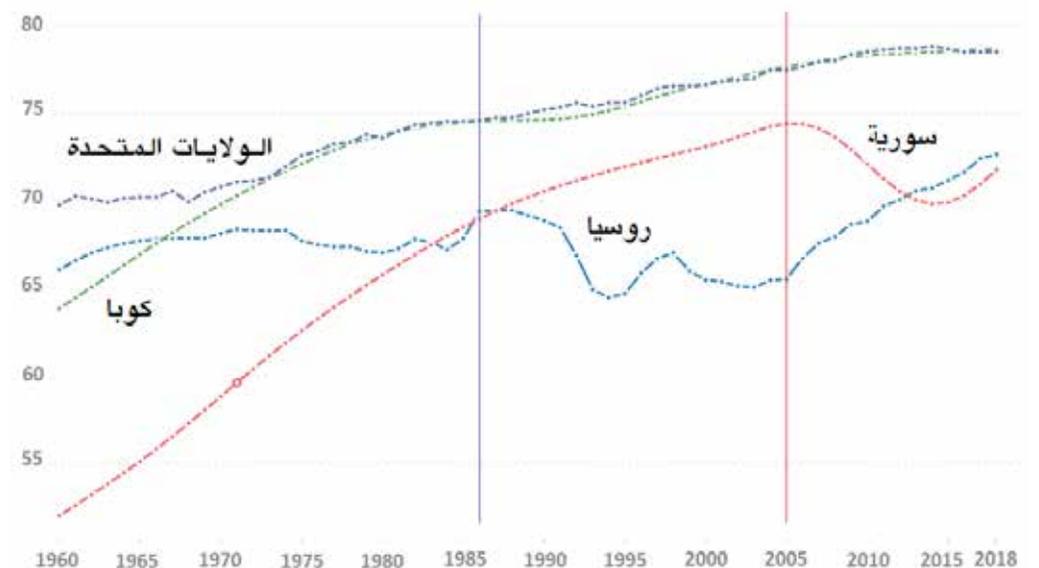
والمرج وروسيا، تبيّن أن الخصخصة، ولا سيما السريعة، تزيد معدل الوفيات كثيراً، حتى بعد تحييد تأثيرات عوامل إدمان الكحول والتدخين والعمر والحالة الاجتماعية والحرمان المالي. «إيردام 2016 وأزاروفا 2017». الجيل المولود في حالة ركود يعاني من زيادة معدلات الوفيات في وقت لاحق من حياته، وذلك لدى معظم السكان، وخاصة الطبقات الاجتماعية الأفقر. واستناداً لبيانات سوليفان وفون واتشتر «2009» أن معدل الوفيات المرتفع بسبب البطالة يستمر حتى 20 عاماً بعد فقدان الوظيفة مع خسارة بمأمول العمر بمقدار 1-5 سنة وسطيّاً. وثمة أدلة على تأثيرات أشد في البلدان النامية. ينتحر العاطلون عن العمل بمعدل 2-3 أضعاف المعدل الوطني.

## «شيوعية سابقة» بفضائل راهنة

تمتعت البلدان الشيوعية السابقة بمأمول

ثبتت البيانات أنّ الليبرالية المتوحشة في سورية لها تأثير «عدوان حربي» في قصف أعمار السوريين حتى في زمن «السلم» منذ 2005

## تغيرات مأمول العمر «1960 - 2018» «بيانات البنك الدولي»



الفترة	السنة	مأمول العمر السوري	مقدار التغيير لكامل الفترة «عاماً من العمر»	وسطي التغيير السنوي في الفترة «عاماً من العمر»
6 سنوات من النيوليبرالية دون حرب «انهيار مأمول العمر»	2005	74,430	- 2,322	- 0,387
	2006	74,412		
	2007	74,152		
	2008	73,647		
	2009	72,938		
	2010	72,108		
4 سنوات من النيوليبرالية مع تصاعد الحرب «استمرار الانهيار»	2011	71,270	- 1,449	- 0,362
	2012	70,550		
	2013	70,049		
	2014	69,821		
4 سنوات من النيوليبرالية مع تراجع الحرب «استعادة جزئية»	2015	69,908	+ 1,871	+ 0,468
	2016	70,315		
	2017	70,967		
	2018	71,779		

# بحر الصين الجنوبي



يبدو وصف الهدوء غير لائق لإحدى أسخن بقاع الأرض! وهو بلا شك يحمل بعض المبالغة نظراً لأن بحر الصين الجنوبي هو أحد الساحات التي يمكن لها أن تتحول إلى مسرح لمواجهة عسكرية صينية- أمريكية. ومع ذلك يبدو الهدوء واضحاً عند النظر إلى «الرفعة الكاملة» ولكن أكثر مباريات الشطرنج هدوءاً قد تكون أكثرها فتكاً!

## ■ علاء ابو فراج

لا يمكن الإقرار بأن العالم وموازين القوى تتغير دون أن نتوقع مظهرات واضحة لهذه التغيرات، ولا يمكن القول أيضاً بأن الأطراف التي لا تلائمها هذه التغيرات لن تبدي مقاومة هائلة. فالانزياحات التكتونية الجارية سترافقها بالحدود الدنيا احتكاكات، وفي حدودها القصوى صدامات عسكرية بنتائج كارثية. وهذا - ولحسن الحظ - ما يدركه الجميع رغم التصرفات المتهوره التي يقوم بها البعض!

## معضلة الصين

يمكن تكثيف هذه المعضلة ببضع كلمات مضبوطة: الصين هي المستهلك الأكبر للطاقة، ولا تملك موارد تكفيها، ففرضت عليها الطبيعة استيراد الجزء الأكبر من احتياجاتها الطبيعية من الخارج. وما يعقد المشكلة الصينية هذه، هو أن الولايات المتحدة لا تزال تسيطر على الطرق الرئيسية لنقل الطاقة المعتمدة حتى اللحظة. ومن هذا التكثيف لطبيعة المشكلة كان على الصين النظر إلى الخريطة وإيجاد مخرج من هذا المأزق، كي لا تستخدم هذه الثغرة في الحرب ضدها، ولا تجد نفسها مضطرة لتقديم التنازلات.

فما هي الإستراتيجية الصينية للخروج من مرمى النيران المباشر هذا؟ فالمنطق يقول: إن أمام الصين ثلاثة احتمالات، الأول: إيجاد طرق جديدة تحت رعاية وحماية صينية تضمن لها استقرار وارداتها النفطية، الاحتمال الثاني: يقول بإنهاء السيطرة

الأمريكية على الممرات البحرية التقليدية التي يجري نقل النفط عبرها إلى الصين وشرق آسيا، من الخليج العربي عبر خليج عمان إلى المحيط الهندي فمضيق ملقة وصولاً إلى البر الصيني، أما الاحتمال الثالث: هو أن تجد الصين مصادر خاصة للطاقة لكيلا تكون محكومة باستيرادها فحسب، ويمكن لهذه المصادر أن تكون إما إنتاج الطاقة النظيفة وإما أن تكون عبر استثمار مصادر جديدة للطاقة الأحفورية. وبعد تثبيت هذه الاحتمالات الثلاثة يمكننا القول: إن الصين تحولها مجتمعة إلى واقع، وتبدو الخطة الإستراتيجية الصينية في هذا الخصوص خطة مضبوطة ومحكمة قابلة للتنفيذ عبر مراحل زمنية متتالية، ومناورات تكتيكية مدروسة. يمكن لنا نقاش كل واحدة منها بشيء من التفصيل:

## الممرات البديلة

على الرغم من متانة العلاقات الروسية الصينية، إلا أن روسيا لن تكون كافية كمورد للطاقة لأن الصين تحتاج ما يعادل الإنتاج الروسي كاملاً. فروسيا تنتج ما يقارب 11 مليون برميل في اليوم، وتستهلك الصين ما يقارب 12 مليون برميل يومياً! أي: إن كامل الإنتاج الروسي لن يكفي لسد الطلب الصيني، بالإضافة إلى اعتماد روسيا على السوق الصيني كسوق وحيدة لتصريف نفطها لما يحمله هذا من خطورة، مما سيضر بعلاقات روسيا مع العديد من الدول الأخرى التي تعتمد عليها كمصدر موثوق للطاقة. لكن هذا لا يمنع الصين بالتأكيد من استيراد جزء

من احتياجاتها من الأراضي الروسية عبر خط أنابيب لنقل الغاز من سيبيريا إلى الأراضي الصينية.

بالإضافة إلى روسيا تسعى الصين إلى التعاقد مع إيران التي تحتاج منفذاً لبيع إنتاجها من الطاقة، ويجري العمل على هذا المشروع عبر تطوير موانئ بحرية، وعبر سعي البلدين إلى مد خط أنابيب من إيران إلى الصين يمر عبر آسيا الوسطى، وعلى الرغم من أن هذا المخطط لم يجر تطبيقه حتى اللحظة، لكن حظوظه كبيرة بالفعل، ويجري تذليل العقبات التي تقف في وجهه بخطوات سريعة، تعكس عزم البلدين لزيادة حجم التعاون الإستراتيجي فيما بينهما. فتكون الصين إذا أنجزت هذه الخطة بنجاح قد أمنت طرق إمداد للطاقة بعيدة عن متناول اليد الأمريكية.

## بحر الصين الجنوبي مفتاح للحل

لفهم أهمية بحر الصين الجنوبي، لابد من ذكر بعض المعلومات الاقتصادية والسياسية الهامة حوله، فتعتبر مياحه من أكثر المناطق المتنازع عليها، إذ تشرف على بحر الصين الجنوبي كل من الصين والفلبين وماليزيا وفيتنام وتايوان، وإن كان لا مجال حالياً لذكر مطالب الأطراف في مياه هذا البحر، وكيف يجري حل هذه الخلافات، يمكننا توصيف الأمر الواقع والانطلاق منه، فالصين تسيطر على 90% من مياه هذا البحر الآن، وتعتبر مشاكلها مع جيرانها كثيرة جداً في هذا الخصوص، لكن المحرك الأساس لهذه النزاعات يكمن في أهمية هذا البحر تحديداً. فهو يحوي كمية هائلة من الثروات، تقول تقديرات الشركات الصينية: إن النفط الخام الموجود يمكن تقديره بما يقارب 125 مليار برميل، بالإضافة إلى تقديرات تصل إلى وجود 500 مليار متر مكعب من الغاز، وقد جرى تثبيت وجود حوالي 12 مليار برميل

من النفط الخام، وما يقارب 190 مليار قدم مكعب من الغاز.

أي: إن الحدود الدنيا لثرواته تعد مورداً ضرورياً للصين لا يمكن الاستغناء عنه، أما الجانب الآخر من ميزات هذا البحر كونه معبراً أساساً للنفط إلى شرق آسيا التي تقول التقديرات: إنها ستستهلك 90% من الإنتاج العالمي، أي: إن لمياه البحر أهمية إستراتيجية وتجارية قيمة، فحجم التبادلات التجارية التي تجري ضمنه وصلت إلى 5 مليارات دولار. ويحوي أيضاً ما يعادل 10% من كمية الأسماك الموجودة في العالم.

## التواجد الأمريكي في «الصين الجنوبي»

بعد النظر إلى القيمة الإستراتيجية لبحر الصين الجنوبي، يصبح من السهل إدراك من المهمة الموكلة إلى البحرية الأمريكية المتواجدة هناك، والتي ترى فيها الصين تهديداً لمصالحها وبالقراب من شواطئها! بل يصبح من السهل إدراك أن السعي الصيني للتحرر من ورقة التهديد الوحيدة التي تملكها واشنطن ضدها - عوز الصين للطاقة وضرورة استيرادها - سيصطدم بلا شك عاجلاً أم آجلاً بالسفن الحربية الأمريكية الموجودة فوق سطح هذه المياه.

ترى الصين، أن جزيرة تايوان - والتي تعرف باسم «جمهورية الصين» - جزء من بلادها، والتي جرى فصلها كنتيجة لسلسلة من الأحداث، ويدعم مجلس الأمن الموقف الصيني في قراره رقم 2758 الصادر في العام 1971، إذ تعتبر «جمهورية الصين الشعبية» صاحبة الأحقية بمقعد تايوان في مجلس الأمن. ومن السهل أن نستنتج حماسة الولايات المتحدة الأمريكية للعب دور سلمي في هذا النزاع، بل ترى بكين أن واشنطن هي المحرك الأساس لهذا النزاع والداعم الأكبر للقوى القومية المتطرفة في الجزيرة التي لا يفصل بينها وبين جمهورية الصين الشعبية

لا يمكن الإقرار بأن العالم وموازين القوى تتغير دون أن نتوقع مظهرات واضحة لهذه التغيرات

## الصورة عالمياً



- تتزايد حالات العنف في الولايات المتحدة، حيث أفادت صحيفة «أريزونا ريبابليك» المحلية بإصابة سبعة أشخاص على الأقل، بينهم أطفال تتراوح أعمارهم بين السنة و16 عاماً، في إطلاق نار في موقف للسيارات في ميسا بولاية أريزونا الأمريكية.



- تراجعت المنح والمساعدات المالية للميزانية الفلسطينية بنسبة 81,6% على أساس سنوي، خلال أول 8 شهور من العام الجاري، حيث أظهرت بيانات ميزانية صادرة عن وزارة المالية الفلسطينية أن 38,1 مليون دولار، تمثل إجمالي الدعم العربي للموازنة منذ مطلع 2020.



- تجمع الآلاف من المواطنين الفرنسيين من أعضاء النقابات العمالية والمهاجرين، يوم السبت، في ميدان الجمهورية في باريس، للمطالبة بمنح أقامت للمهاجرين وتسوية أوضاعهم، وطالبوا بمنح وثائق إقامة للمهاجرين، وتسوية أوضاعهم، وإغلاق مراكز التوقيف الإدارية بحقهم.



- قال السفير الروسي لدى واشنطن، أناتولي أنطونوف: إن موسكو تحاول إقناع واشنطن بضرورة حوض حوار من أجل منع سباق تسلح جديد بين الطرفين، مؤكداً أن هذه الجهود لم تحقق نجاحاً حتى الآن.



- اعتبر وزير الخارجية الإيراني، أن انتهاء سريان الحظر الدولي على تسليح بلاده هو «انتصار» لفضية التعددية والسلام في الشرق الأوسط، وقال في تغريدة نشرها عبر تويتر: إنه يوم هام للغاية بالنسبة للمجتمع الدولي الذي صان القرار 2231... رغم معارضة للجهود الخبيثة التي بذلتها الولايات المتحدة.



- قالت المتحدث باسم وزارة الخارجية الصينية، تشاو لي جيان: إن محاولات إثارة الشقاق بين الصين وروسيا محكومة بالفشل، وأكد: أن العلاقات بين البلدين يمكنها أن تصمد أمام مختلف المخاطر والتحديات.

## ولعبة الشطرنج الهادئة!



دفعها؟ وهل هي مستعدة للقبول بالأمر الواقع والإقرار بخسارتها امتيازاتها في تلك المنطقة؟

الخروج الأمريكي من هذه المنطقة سيسرع حل النزاع القائم على استثمار النفط، ولنا في الاتفاق الموقع بين الصين والفلبين خير مثال على ذلك، فقد استطاع البلدان التوصل إلى اتفاق للمشاركة في التنقيب عن النفط والغاز، سيفتح آفاقاً للعمل المشترك في استثمار ثروات المياه المشتركة، ويمكن لتجربة ناجحة واحدة أن تشكل دافعاً لبقية الدول المطلة على البحر لتبحث لنفسها عن اتفاقات مع الصين، التي ستكون رابحة في أي اتفاق طالما منعت واشنطن من صب الزيت على النار. رغم أن الأفق أمام هذه الخطط الطموحة بات مفتوحاً حقاً، لكن إنجازها يتطلب جهداً وصبراً كبيرين، خاصة أن الجثة الأمريكية المرمية فوق الصين ثقيلة حقاً ولا مجال للخلاص إلا عبر رفعها ودفنها.

## في الختام

مع كل السيناريوهات المطروحة، سيكون الخروج الأمريكي من بحر الصين الجنوبي أمراً حتمياً، لتكون بذلك بكين قد أنجزت خطوة إستراتيجية رابحة جديدة في التنافس الدولي، السؤال يبقى: ما هي التكلفة التي ترغب واشنطن في

هذا الصراع لن يكون في مصالح أكثر من 23 مليون إنسان يقطنون هذه الجزيرة والذين سيتحملون العبء الأكبر من أي نزاع عسكري يمكن أن يجري!

## موجة التصعيد الجديدة

كانت الولايات المتحدة أعلنت في وقت سابق من العام الماضي عزمها على تصدير السلاح إلى تايوان. أما اليوم، فيجري الحديث عن أن البيت الأبيض يسعى إلى توقيع 3 اتفاقات لتوريد أسلحة متطورة إلى تايوان، وهذا ما أكدته وكالة رويترز التي نقلت أن «ما يصل إلى 7 أنظمة أسلحة رئيسة تشق طريقها في عملية التصدير الأمريكية مع تكثيف إدارة ترامب الضغوط على الصين»، وكانت السفارة الصينية في واشنطن قد علقت على هذه الأخبار، بأن بكين تعارض باستمرار مبيعات الأسلحة لتايوان. وأرسلت الولايات المتحدة، في خطوة استفزازية، المدمرة «جون

سوى مضيق فورموزا الذي يصل في عرض نقاطه إلى 140 كم. رغم أن القوى السياسية في تايوان لا تتفق على موقف موحد من الصين، وتعد العلاقات مع الوطن الأم أحد أهم المواضيع الخلافية في الجزيرة، تستغل واشنطن وجود أرضية خصبة لتغذية النزاع، ولتقوم باستغلال هذه الجزيرة على مر التاريخ. فالولايات المتحدة لا ترى في تايوان حليفاً لها.. بل ترى فيها مادة للابتزاز لا أكثر، ويبدو هذا واضحاً إذا ما أجرينا مراجعة للتاريخ: فواشنطن كانت على استعداد للتخلي عن تايوان كخميني للتقارب الأمريكي- الصيني في سبعينات القرن الماضي! أما اليوم ومع التغيير في إستراتيجية واشنطن، أدركت الأخيرة أن تايوان يمكن أن تستخدم مجدداً كورقة ضغط ضد التتّين الصيني القادر على حسم هذه المسألة عسكرياً- وهو ما لا يتردد السياسيون الصينيون من تكراره- دون أن تابه من أن تغذية

## الاحتمال العسكري في بحر الصين الجنوبي

رغم كون احتمال الصدام العسكري الصيني- الأمريكي ضعيفاً لكنه قائم، قد تقرر الصين حسم مسألة تايوان بالقوة العسكرية وبضربة مباغتة، لتجد واشنطن نفسها ضمن المياه الإقليمية الصينية، وفي مرمى نيران مدفعية الصين، وعندئذ سينقلب السحر على الساحر! فتقول التقديرات: إن التوازنات العسكرية ضمن «الصين الجنوبي» قد حُسمت منذ سنوات لصالح الصين، ففتتقدم الأخيرة على واشنطن في أسطولها البحري هناك، ولن يكون من مصلحة واشنطن الدخول في معركة كهذه، وخصوصاً أن بعض جنرالات الجيش الأمريكي يعتبرون أن المعركة محسومة حتى قبل أن تبدأ، ويمكن الاطلاع على الرسالة المتخيلة التي كتبها ديل ريلاج «بعنوان كيف خسرتنا الحرب العظمى في المحيط الهادئ» وهو أحد أكبر ضباط استخبارات البحرية، ووكيل وزارة الدفاع للاستخبارات والأمن، وقد أورد في رسالته المؤرخة 6 حزيران 2025 مجموعة من البرقيات العسكرية المتخيلة إذا ما وقع الصدام في بحر الصين، ويتحدث ريلاج في رسالته المستقبلية عن الأسباب التي أدت لخسارة الولايات المتحدة لهذه المعركة. وإن كانت هذه الرسالة لا تتعدى كونها نصاً متخيلاً، إلا أنها تكتب بقلم ضابط مرموق في البحرية، ويملك من المعلومات ما يكفي لإدراك الوضع القائم هناك.

# الحرب التجارية الأمريكية-الصينية



التقنية، يمكن حساب القيم ذات الصلة في العمالة الداخلة في السلع والخدمات المتبادلة بين الولايات المتحدة والصين في التجارة الثنائية. تسلط النتائج التي حصلنا عليها- من الفترة ما بين 1978 إلى 2018- الضوء على وجود تبادل غير متكافئ بين الولايات المتحدة والصين، لكن على حساب الصين لصالح الولايات المتحدة وليس العكس. كانت التغييرات في محتويات العمل المضمّنة في البضائع الخاضعة للتبادل مختلفة جداً بين البلدين. بالنسبة للصين، شهدنا صعوداً قوياً حتى منتصف العقد الأول في الألفية، ثم سقوطاً مفاجئاً، فاستقراراً في بداية العقد الثاني. لكن بالنسبة للولايات المتحدة، شهدنا تطوراً أكثر اعتدالاً بكثير للزيادات المضطربة. بعدها وجدنا بأنه بين العام 1978 و2018، وبالمتوسط، فساعة عمل واحدة في الولايات المتحدة يتم مبادلتها بقرابة 40 ساعة من العمل الصيني.

لكن ومنذ منتصف التسعينات- وهي فترة الإصلاح العميق في الصين، وخاصة في مسائل المالية والموازنة- لاحظنا نقصاً واضحاً جداً في التبادل غير المتكافئ، لكن دون أن يختفي بشكل كلي. في 2018: كان تتم مبادلة 6,4 ساعة عمل في الصين بساعة عمل واحدة في الولايات المتحدة. هل من الممكن أن يكون تاكل هذه الأفضلية التجارية لصالح الولايات المتحدة هو السبب في اندلاع حربها التجارية ضد الصين؟ قمنا أيضاً بحساب الأمر باستخدام أسلوب مختلف. وحتى يتم ذلك كان علينا أن نقدر كميات القيم الدولية في القطاعات المختلفة في كل بلد، باستخدام تعبير معدل الصرف في تعادل القوة الشرائية التي تعكس حصة منتجات بلد ما في الإنتاج العالمي، ولتقليص تأثير تقلبات معدل الصرف الحقيقي. وباستخدام البيانات المتاحة، كان علينا أن نحدد بحثاً بالأعوام بين 1995 و2014 لتغطي 55 قطاعاً في 43 دولة، من بينها الصين والولايات المتحدة. وعند التركيز على هذين البلدين وجدنا بأن النتائج التي حصلنا عليها باستخدام الأسلوب الثاني

لمواطني البلدين. ولم تتباطأ وتيرة التباين «وذلك بشكل مؤقت لتتسارع من جديد» إلا كنتيجة لتأثيرات الأزمات التي صدمت الاقتصاد الأمريكي في 2001 «فقاعة الاقتصاد الجديد» و2008 «أزمة الرهن العقاري»، وتخفيض قيمة اليوان والأزمة المالية في أسواق الأسهم الصينية في 2015. تخطى عجز الميزان بين البلدين 100 مليار دولار في 2002، و200 مليار في 2005، و300 مليار في 2011، قبل أن يصل في 2018 إلى 419,5 مليار دولار لصالح الصين «في البضائع دون الخدمات». وقد احتلت الصين في هذا التاريخ المتحدة في تجارة البضائع بقيمة إجمالية 659,8 مليار دولار. بينما التجارة في قطاع الخدمات شهدت فائضاً بقيمة 40,5 مليار دولار لصالح الولايات المتحدة في 2018.

في 2018 تحديداً أطلقت واشنطن حربها التجارية ضد الصين. تم اتخاذ الإجراء الأول في كانون الثاني عبر الزيادة الشديدة على الرسوم الجمركية على بعض البضائع المستوردة من الصين «مثل: الأدوات المنزلية والألواح الشمسية الكهروضوئية». تلا ذلك توسيع الرسوم الجمركية على بضائع أخرى في آذار، ثم في نيسان فرضت عقوبات على الشركات الصينية عبر منعها من استخدام المدخلات المصنوعة في الولايات المتحدة.

بحلول حزيران 2019، وسعت الرسوم إلى قطاعات جديدة، ولم تعد الصين هي الشريك التجاري الأكبر للولايات المتحدة. في نهاية 2019 تم تقليص العجز التجاري للولايات المتحدة مقابل الصين بشكل كبير يصل إلى -345,6 مليار دولار. هل هذا يعني أن ترامب كان محقاً وهو في طريقه للفوز في الحرب التجارية؟ يدعي الاقتصاديون السائدون بأن العلاقات التجارية بين الولايات المتحدة والصين غير عادلة، فهل تثبت هذه الأرقام الأمر؟

## قياس التجارة اللامتناهية

بعد حساب عدد من الافتراضات والشروط

وفقاً لديفيد ريكاردو، فإن ماركس قال بأن التجارة الدولية يمكن أن تتوسع، خاصة إذا ما سمحت الدول بزيادة الإنتاج بتكلفة أقل. لكن ماركس اضاف بأنه على الرغم من هذا الكسب الفوري، فإن التبادل التجاري يتم على حساب الاقتصادات الأقل تصنيعاً، ليتضح بأنه غير متكافئ في واقع الحال، وعليه سنرى بأنه أحد أشكال زرع الملكية بمجرد أن نأخذ باعتبارنا كميات العمل والجهود الإنتاجية التي تدخل في البضائع المتبادلة.

## ■ جيخوان ولي وهيريرا تصريح: عروة درويش

الأول من عام 2018. بحسب هذا الزعم: تجمع الصين المزايا عبر زيادة الصادرات من خلال أجور أدنى وعملة مقدرة بأقل من قيمتها من ناحية، ومن ناحية أخرى عبر إعاقه الاستيراد من خلال تقديم دعم للشركات المحلية، وسن التشريعات المعرقله بشدة لوصول البضائع الأجنبية للسوق المحلية. ألا يقدم العجز الثاني للولايات المتحدة دليلاً دامغاً على أن ترامب محق بقوله أن «الصينيين يقتلعون مئات مليارات الدولارات سنوياً من الولايات المتحدة ليضخوها في الصين»؟ إن التغييرات الأخيرة في إعدادات سلاسل القيمة التي شهدت احتلال الصين لموقع إستراتيجي في شبكات التوريد المعولمة تعقد بكل تأكيد عملية التحليل. كيف لأي أحد أن ينكر الدليل بأن جميع هذه الدولارات تنتقل من بلد العجز إلى بلد الفائض؟

## العجز والخطاب السائد

هناك اختلافات في حساب العجز بين بيانات الجهات الرسمية الأمريكية والجهات الرسمية الصينية، وهذه الاختلافات في التقييم تعود، من بين أمور أخرى، إلى إعادة التصدير عبر هونغ كونغ، وتكاليف النقل، ونفقات السفر

يمكن ملاحظة ذلك إن كان بلد «أقل نمواً» يقدم إنتاجية عمالية أقل من إنتاجية «شركائه» في التجارة الخارجية، مع عدد ساعات عمل أقل مضمّنة في البضائع التي يستوردها بالمقارنة مع الساعات المضمّنة في صادراته. نسب كميات العمالة التي تتطلبها الصادرات والواردات «شروط التجارة العملية Factorial terms of trade» ليست في صالح البلدان الأقل «تقدماً» في هذه الحالة، حيث يتم استغلالها في كمية مساهمة العمل. أثبت الماركسيون بعد ماركس أن مدى اللامساواة بين الدول محلّ التبادل، يمكن لمسه في اعتمادها على الفرق في أجر العمل، فهي أدنى منها في الدول الطرفية مقارنة بالمركز رغم أن الإنتاجية متساوية بينهما. هل يمكننا فهم جوانب محددة من العلاقات الصينية- الأمريكية باستخدام الماركسية؟ لقد كان العجز التجاري الأمريكي الكبير جداً مقابل الصين هو الذريعة الرئيسية التي استخدمتها واشنطن لإطلاق ما يسمى عرفياً «بالحرب التجارية» ضد بكين، بدءاً من النصف



# تكشف قناع «اللص» الحقيقي!

العملة الصينية مقابل الدولار، الأمر الذي أدى رغم إجماع بكين ومقاومتها إلى رفع قيمة العملة في عامي 2005 و2012. بين هذين العامين ارتفعت قيمة اليوان الحقيقية بنسبة 32% مقارنة بالدولار.

الجدال بين الاقتصاديين بشأن «القيمة العادلة» للعملة مسألة جدلية. لكن من أكثر المعايير المستخدمة: النسبة بين رصيد الحساب الجاري والنتائج المحلي الإجمالي المستخدمة من قبل مستشاري الحكومات الأمريكية «سواء في إدارة أوباما أو ترامب». وعليه فالمؤشر المعياري المستخدم لتحديد ما يسمى «سعر الصرف المتوازن» سيكون نسبة الفائض، أو عجز ميزان المدفوعات الجارية إلى الناتج المحلي الإجمالي. لكن إن طبقنا هذا المعيار على الصين فسندرك بأن النسبة الصينية قد انخفضت من أكثر من 10,6% في 2007 إلى أقل من 2,8% في 2011، و فقط 1,4% في 2012.

لهذا ولعوامل أخرى، مسألة تقويم اليوان بأدنى من قيمته ليست بالمسألة الواضحة كما يزعمون «على عكس التدهور في شروط التبادل التجاري للصين، وهو أمر حقيقي للغاية ولكن تم تجاهله بشكل عام». لكن وبأية حال لم يمنع هذا الولايات المتحدة، رغم الاختلال الهائل في التوازن الذي يميز اقتصادها «سواء العجز المالي أو العجز التجاري»، من متابعة ما أسماه كثير من المراقبين «حرب العملات» عبر تخفيض قيمة الدولار الأمريكي في أسواق العملات الأجنبية، ومحاولة فرض شروط على بكين تنبؤ وكأنها «استسلام»، والذي كان أحد تداعياته تقليص احتياطي الدولار من قبل السلطات النقدية الصينية. ومع ذلك فالصين هي التي يتم اتهامها بالتصلب.

إن لهذا علاقة بنجاح الصين في تطبيق مشروع تنمية غير مالي وغير حربي ينافس بشكل مستقل وفاعل كتلة سلطة التمويل الأمريكي، والتي تتغذى على رأس المال الوهمي وتفرض الأزمات والحروب على العالم. إن التفسير الوحيد للحرب التجارية وحرب العملات هو: محاولة الإدارة الأمريكية الحد من التدهور البطيء والمستمر للامتياز الذي كانت تعتمد الولايات المتحدة عليه في تجارتها مع الصين في العقود الأربعة الماضية، وبالتالي الحفاظ على هيمنتها العالمية المتداعية. علينا أن نسال الإدارة الأمريكية الآن بعد أن أزلنا الأقنعة: من هو اللص الحقيقي؟

■ بتصرف عن:

U.S. - China Trade War: Has the Real Thief Finally Been Unmasked?

والسيطرة الصارمة على انفتاح البلاد على النظام العالمي، والمتكاملة ضمن إطار «إستراتيجية النمو». هذا هو سبب القدرة على تعديل نوعية الصادرات بشكل تدريجي بحيث تكون مرتبطة بشكل متزايد بعمليات الإنتاج المعقدة، وصولاً إلى المرحلة الحالية التي تشكل فيها البضائع والخدمات عالية التقنية أكثر من نصف القيمة الإجمالية للبضائع التي تصدرها الصين. ويعود الفضل بذلك للابتكارات التكنولوجية في جميع المجالات «الروبوتات والطاقة النووية والفضاء...» والتي يتم توطئتها محلياً من قبل الصين أكثر فأكثر. تمكنت الهياكل الإنتاجية في البلاد من التطور من حالة «صنع في الصين» إلى «صنع من قبل الصين».

على مدى عدة عقود، تسارعت مكاسب معدل نمو إنتاجية العمالة، وبات ممكناً دعم الزيادة المستمرة بشكل دائم للأجور الصناعية «بالمعنى الحقيقي للأجور». لكن الزيادة البسيطة في تكاليف العمالة الصينية بالمقارنة مع المنافسين من دول الجنوب «كوريا الجنوبية والمكسيك وتركيا إلخ...» لم يقلل هوامشها. في الوقت الحالي تلعب الصادرات - وكذلك الاستثمار الأجنبي المباشر تبعاً لكون أكثر من نصف الصادرات تصنعها شركات عابرة للحدود موجودة في الصين - دوراً في تنمية البلاد.

حروب العملات والتجارة تضي مع بعضها البعض بثبات. شنت الإدارة الأمريكية الحرب التجارية ضد الصين في سياق موجود قبل ذلك بكثير، فالولايات المتحدة فرضت على مدى عقود ضغوطاً شديدة من خلال عملتها الوطنية على جميع الاقتصادات حول العالم، بوصفها عملة احتياطية دولية. وبهدف محاولة تحسين القدرة التنافسية السريعة للصادرات من أحد البلدين، اكتسبت منافسة تخفيض سعر الدولار واليوان سرعة مؤخراً، عندما ردت السلطات النقدية في الصين على العقوبات الأمريكية بالسماح بتخفيض سعر اليوان. ولهذا تم «تخفيض» اليوان في آب 2019. لكن هل كان مقوماً بأدنى من قيمته قبل ذلك؟

بلورت فقاعة الصادرات - وهي التي اعتمد عليها نموذج النمو الصيني بشكل جزئي فقط - نقطة توتر كبرى في العلاقات الاقتصادية الدولية. وفقاً للإعلام في الولايات المتحدة والغربي عموماً، لظالمات تم تقويم اليوان بأقل من قيمته. وهذا التقييم المزعوم هو أصل زيادة سوء العجز التجاري الأمريكي لأن البضائع الصينية المصدرة زهيدة جداً، وقد جعلها تخفيض العملة تنافسية جداً في الأسواق العالمية. ومن هنا تضاعفت الضغوط من واشنطن لرفع قيمة



المتعلقة بها (3,1 ملياراً)، تصنيع خدمات السيارات والمقطورات وشبه المقطورات «1,1 مليار»، وتصنيع المنتجات الصيدلانية الرئيسية والمستحضرات الصيدلانية «422 ملياراً».

القطاع الأول: يشمل أحد المحاور الرئيسية في الهجوم الذي شنته إدارة ترامب - ضد الصين، ولكن أيضاً ضد الشركات العملاقة متعددة الجنسيات بسبب «عولمتها»، والتي ينتقدونها لانتقالها إلى الصين، ويدّعي بأنه سيجبرها على العودة إلى الولايات المتحدة.

إنّ ترامب يحتل الأخبار عادة بوصفه «المجنون»، لكنّه في حقيقة الأمر منتج وممثل بارز لإحدى زمر التمويل الرقيق التي تحتل حالياً الاقتصاد الأمريكي: إنها زمرة «القارية» المناهضون لزمرة «المعولمين».

والقطاع الثاني: قطاع صناعة السيارات، هو أحد أعمدة الاقتصاد الأمريكي، والذي تعرض لهزات عنيفة «وتمّ إنقاذه بسخاء» بعد أزمة 2007. القطاع الثالث: هو الزراعة والماشية، وهو أحد من تعرضوا لأقسى الردود الصينية التي أتت على شكل ضرائب جمركية فرضها الصينيون على المنتجات الزراعية المستوردة من الولايات المتحدة «وتحديداً من الولايات ذات الإنتاج الضخم للبضائع الزراعية، والتي تعدّ ولايات مناصرة لترامب انتخابياً، مثل:

ولاية كنساس». القطاع الاقتصادي الرابع: هو المنتجات الصيدلانية الأساسية، والذي كشف الغطاء عنه وباء كوفيد-19.

تبعاً لهذه الظروف، هل لنا ألا نشك عن كون إطلاق الحرب التجارية هي أيضاً محاولة من قبل الولايات المتحدة للحد من عمليات نقل القيم المستخلصة من هذه القطاعات الأساسية من قبل الصين؟

الصين وتحدي الهيمنة العالمية إذا ما نظرنا أبعد من المنتديات السياسية وزخارف المفاوضات الدبلوماسية، فالمسألة الاقتصادية التي تهمننا هنا معقدة. التزايد المتسارع للصادرات الصينية على مدى الثلاثين عاماً الماضية قد تمّ على أساس عملية التصنيع الناجحة - والطويلة والشاقة -

للحساب تدعم النتائج المستخلصة من الأسلوب الأول. هناك عدم تكافؤ في التجارة بين الولايات المتحدة والصين خلال الفترة بين 1995 و2014، ولكن وبشكل إجمالي فعمليات نقل القيم الدولية قد حدثت لصالح الولايات المتحدة إلى حد كبير جداً. وإذا ما أردنا التعبير عن هذا الأمر باستخدام الدولار الحالي، فقد وصلت «إعادة التوزيع» هذه في نهاية الفترة إلى 100 مليار دولار، أو ما يقرب من 0,5% من القيمة المضافة الأمريكية.

## تآكل الميزة الأمريكية

ما تظهره نتائجنا، هو أنّ الولايات المتحدة، كقوة عالمية مهيمنة، تجد صعوبة متزايدة في الحفاظ على ميزاتها والبقاء في موقع الهيمنة، وهي بالتالي لا تتحمل جميع تداعيات التجارة الحرة التي كانت ذات مرة تخدم مصالحها. لقد نجحت الصين بكل تأكيد وبشكل كبير في تقليص أهمية هذا التبادل غير المتكافئ، مع تقلص لأفضليتها في نقل الثروة بشكل تدريجي: انخفضت نسبة هذا النقل الجائر في القيمة المضافة الصينية من 3,7% إلى -0,9% بين عامي 1995 و2014. ففي الواقع، كان على الصين أن تقايض 50 ساعة عمل صينية مقابل ساعة عمل أمريكية واحدة في 1995، بينما بات عليها أن تقايض سبع ساعات فقط في 2014.

إنّ تحليل القطاعات الذي يمكن استخلاصه من أسلوب حسابنا الثاني مفيد للغاية، فعلى الرغم من أنّ حسابنا اقتصر على 43 قطاعاً نشطاً من أصل 55 «78%»، فهو يسلط الضوء على نقل القيمة من الصين إلى الولايات المتحدة «الأكثر بروزاً هو صناعة المنسوجات والملابس والجلد، وكذلك الأثاث المصنوع والمستلزمات الأخرى. هناك فقط 12 قطاعاً تسير في الاتجاه المعاكس من حيث نقل القيم الأصلية، ليكون النقل على حساب الولايات المتحدة، وتشمل هذه القطاعات: تصنيع الكمبيوترات والإلكترونيات والمنتجات البصرية «تمّ نقل قيمة تساوي 6,9 مليارات دولار من الولايات المتحدة إلى الصين في 2014»، الزراعة والصيد والأنشطة



# حديث بين تشارلي تشابلن وكارل ماركس



أحد الضباط من إحدى ذراعيه، يساعد نفسه على تدخين سيجار من كشك لبيع الصحف.

كل شيء مجاني في طريقك إلى السجن. إذا تم تقليص الحياة إلى سلسلة من الاعتقالات، فلا عواقب ولا عقد اجتماعي. وفي وقت لاحق، عندما تم تعيين العامل كحارس ليلي في متجر متعدد الأقسام، اقتحمت مجموعة من الرجال المسلحين المكان وبدأت بإطلاق النار على المكان. ومن بينهم بيغ بيل، رفيقه من المصنع، يعرفه العامل. ويقول بيغ بيل: نحن لسنا لصواً نحن جائعون. إنها بذرة تمرد كتيبة عاطلة عن العمل تجوب الليل.

كان ماركس يدرك الوضع المأساوي، الرجل الذي بلا رأس مال، يعيش من خلال العمل فقط ... يعتبره الاقتصاد عاملاً فقط ... لا يعتبره كإنسان عندما لا يعمل، ويمثل العامل الذي يخرج عن الكسب مشكلة للرأسمالية والدولة.

نحن نسميهم عاطلين عن العمل، صورهم تشابلن يتعرضون للمضايقات باستمرار من قبل المقرضين وأصحاب العقارات الذين يسعون للحصول على الإيجار، والمحاكم. ولا يجادل ماركس ضد العمل، بل لصالح العمل الذي يحافظ على الحياة ويعبر عنها.

واليوم، تُسرّع شريحة بالنزول إلى الأسفل، وقد يواجه أكثر من 20 مليون شخص - ما يقرب من 20% من 110 ملايين أمريكي يعيشون في منازل مستأجرة - التشرّد وفقاً لتحليل يعتمد على بيانات حديثة. هذا ما يفكر فيه الناس. هذا ما يقلقهم. كيف سيدفعون الإيجار اليوم؟

■ ستيفن ستول، بروفييسور التاريخ في جامعة فوردهام الخاصة في نيويورك «جامعة تملكها الكنيسة الرومانية الكاثوليكية»

والمنزّل من الأموال التي يكسبونها من العمل. ولكن ماذا حدث عندما فشل التقسيم الصناعي للعمل في تلبية هذه الحاجات؟ ماذا حدث عندما قوض العمل الحب والمرح؟

## عامل الأزمنة الحديثة

يتأمل فيلم الأزمنة الحديثة في هذه الأسئلة. الأمر يتعلق حقاً باحتياجاتنا الأساسية، دافعنا لعدم تجريدنا من الإنسانية. فالعامل يدير البراغي يصنع شيئاً لا نراه أبداً. يصرخ رئيس العمال في وجهه. ذبابة تضايقه. وكلما أسرع في تشغيل البراغي، زادت سرعة تحرك كل شيء. لا يمكنه إيقاف حركته المتكررة، عن طريق تدوير البراغي غير المرئية، حتى عندما يأخذ استراحة. فقط في تسلسل المصنع يتم تجريد العامل من الإنسانية. فقط على خط التجميع يتم الاستيلاء على قدراته البشرية لجعله امتداداً للمصنع نفسه.

يخبرنا شابلن وماركس: أن المصنع يشوه العامل، والعالم الذي تشكله السلعة والقوة الصناعية بشكل متزايد. يقول ماركس: يرتبط العامل بمنهج العمل كشيء غريب ... مهما كان نتاج عمله.

طوال بقية الفيلم، يلعب تشابلن بالاختيار الخاطئ بين الطعام والحرية. بعد إطلاق سراحه، وجد العامل نفسه في احتجاج في الشارع، وسجن لكونه شيوعياً. يجد أنه يفضل القوت والمأوى في السجن على الحرمان من البطالة لأن الحرية تعني الجوع بالنسبة إليه.

يصور سرقة رغيف خبز والهرب من الشرطة والتعرض للضرب. والحياة في الواجهة البحرية عن طريق سرقة الطعام من سفن الشحن وإطعام الأطفال الجوعى. يجلس العامل جائعاً لتناول وجبة عملاقة مع عدم وجود نية لدفع ثمنها، ثم يتصل بالشرطة لإلقاء القبض عليه. بينما يمسه

صدر فيلم الأزمنة الحديثة «Modern Times» لتشارلي تشابلن عام 1936، في أعماق فترة الكساد العظيم التي ضربت الولايات المتحدة الأمريكية. بدأ الفيلم بساعة تشير إلى بداية يوم العمل، وبجملته: «قصة الصناعة، مشروع فردي - تجتهد الإنسانية في السعي وراء السعادة».

■ ستيفن ستول  
ترجمة قاسيون

## إضرابات الكساد العظيم

في الوقت الحالي الذي يتوقع فيه البعض أن التداخليات الاقتصادية لوباء الفيروس التاجي يمكن أن تترك العديد من العاطلين عن العمل لأشهر أو سنوات، تعاني الطبقة العاملة بالفعل أسوأ ما في كل شيء، في أزمة اليأس المستمرة.

ويصور فيلم «الأزمنة الحديثة» الاغتراب وخيبة الأمل من الرأسمالية وتطبيق القانون، وعالم العمل الصناعي الذي سبب الفشل للطبقة العاملة، حيث لعب تشارلي تشابلن دور العامل في الفيلم الذي يتحدث عن رسالة من فجر القرن الأمريكي، حيث الطبقة العاملة تقاوت من أجل البقاء، ولم تستطع الصناعة تحقيق السعادة لهم.

يرتدي تشابلن الشارب نفسه، والقبعة نفسه، والمعطف الضيق الذي قدمه في أحد أفلام عام 1914، ولكن في عالم أقسى بكثير. حيث الانهيار المالي والصراع الطويل الأمد بين العمل ورأس المال. ففي عام 1934 وحده، تصاعدت سلسلة من الإضرابات المذهلة إلى مواجهات بين العمال والشرطة، مثل: إضراب مينابولس العام، وإضراب عمال تفريغ السفن في الساحل الغربي، ومعرفة الشوارع بين عمال السيارات والحرس الوطني في توليدو. ويشير فيلم «الأزمنة الحديثة» إلى البنية التي أنتجت العنف، والاغتراب، والقسوة، والفقر، تلك الظواهر المستوطنة

في حياة الطبقة العاملة في الولايات المتحدة.

## النقاد الاجتماعي الآخر

أثناء مشاهدتي لفيلم «الأزمنة الحديثة» واليأس الذي دفع العمال للدفاع عن أنفسهم، فكرت في كتاب لنقاد اجتماعي آخر لم يستطع شابلن قراءته. إذ لم تُنشر مخطوطات كارل ماركس الاقتصادية والفلسفية لعام 1844 حتى عام 1932 ولم تُنشر باللغة الإنجليزية حتى عام 1960. إنها سلسلة من الملاحظات التي قام فيها الفيلسوف البالغ من العمر ستة وعشرين عاماً بتدوين أفكاره الأولى حول الحياة والعمل، وما يعنيه أن يكون الإنسان في لحظة تغيير غاضب.

في هذه الملاحظات، تصارع ماركس أيضاً مع أكبر إلهام له، جورج هيغل. بعد وصوله إلى ما يعرف الآن بجامعة هومبولت في برلين عام 1836، أمضى ماركس وقتاً طويلاً في جدال المقاهي مع غيره من الشباب الهيجليين. كتب معظمهم عن الناس على أنهم فكريون أو روحانيون، كما فعل هيغل. لكن ماركس يبدأ بالإنسان: «الإنسان كائن طبيعي بشكل مباشر». كما رفض نسخة الطبيعة البشرية التي روج لها آدم سميث وجون ستيوارت ميل، والتي عرّفت البشر على أنهم يسعون إلى الربح بطبيعتهم.

نظر ماركس إلى الصفات العابرة التي اكتسبها الإنسان من خلال العيش في مجتمع، حيث الطعام والمنزل، والحب والرفقة، والعمل الهادف والقليل من المرح. اكتسب البشر الذين عاشوا في المجتمعات الصناعية الطعام

كل شيء مجاني  
في طريقك إلى  
السجن إذا تم  
تقليص الحياة  
إلى سلسلة من  
الاعتقالات فلا  
عواقب ولا عقد  
اجتماعي

# حرائق الغابات في تحذير سينمائي!



«كان الناس يكافحون موجة حر حطمت الرقم القياسي، مدن بأكملها تحولت إلى رماد، هذه الحرائق الآن الأكثر تدميراً، وتتسارع إزالة الغابات بكثرة، وتنخفض مستويات الأوكسجين بشكل كبير مما يهدد حياة البشرية بسبب حرائق الغابات. سجل العالم موت الشجرة الوحيدة في الكرة الأرضية، وانتشر مرض تنفسي قاتل، وانقرضت النباتات، وبقيت آخر مدينة لم تغرق في الظلام.»

## قاسيون

هذا ما جاء في المشاهد الأولى من الفيلم الأسترالي الجديد «2067» من إخراج سيث لارني وبطولة كودي سميت ماكفي وريان كوانتن. الفيلم الذي بدأ عرضه ونشره بداية تشرين الأول الحالي 2020، ويمكن إدراجه ضمن قائمة الأفلام الخيالية العالمية التي تصور نهايات مفترضة للعالم، مثل: الفيضانات والزلازل والحرائق والحروب الكبيرة والأوبئة وغيرها. يخوض الفيلم في معظم مشاهدته في قصة فتى يسافر عبر الزمن إلى العام 2467 من أجل إنقاذ البشرية من الفيروس التنفسي القاتل الذي يهدد بانقرضها، ولكن الرسائل والإشارات الفعلية للفيلم، هي النظرية المالتوسية الجديدة «الحل الذي تريده الرأسمالية في محاولة للخروج من أزمتها».

لم يوفر الفيلم تبني المالتوسية الجديدة، إذ اعتبر تزايد السكان في «الشرق الأوسط والهند والصين مشكلة»، وهي ليست المرة الأولى التي يجري فيها تسويق المالتوسية الجديدة سينمائياً، ففي فيلم «الإخوة غريمسبي» الذي عرضته قناة mbc2 يوم السبت الماضي، جرى حوار مشابه في مشاهد الفيلم عن ضرورة التخلص من تزايد نسبة السكان في العالم عبر

بالتزامن مع حرائق الغابات السورية والأوكرانية! ويذكر أن أستراليا شهدت بداية العام الحالي 2020 حرائق غابات أدت إلى سقوط 28 قتيلًا، وأتت على مساحات شاسعة من الغابات البدائية، وقضت على قطعان كاملة من المواشي. ودمرت أكثر من نصف المواطن الطبيعية المعروفة لـ 100 نوع من النباتات والحيوانات من بينها 32 نوعاً مهدداً بالانقراض.

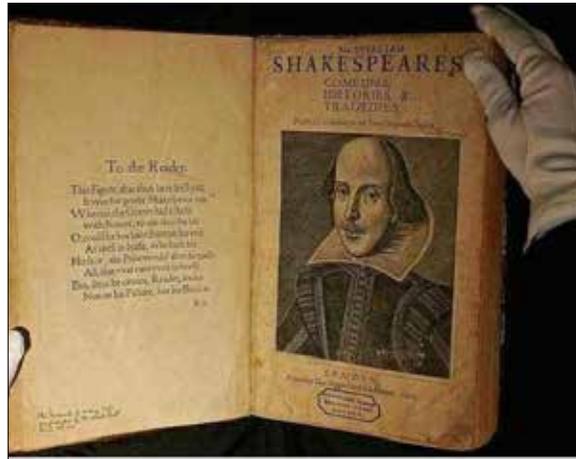
إبادتهم بطريقة نشر فيروس تنفسي قاتل، إضافة إلى حدوث محاولة إغتيال فاشلة لـ دونالد ترامب بهذا الفيروس خلال مباراة لكرة القدم! أرسل الفيلمان إشارات عديدة تمجد العنف والجريمة وقوانين الطوارئ والمجتمعات الطبقيّة، وألصق سبب الكوارث بالبشرية، وليس الرأسمالية كمنظومة، أما الصدفة الغريبة، فهي نشر الفيلم الأسترالي «2067»

## أخبار ثقافية

### كانوا وكنا



تتراكم الأزمات المختلفة على رأس الشعب السوري منذ سنوات! أزمة الخبز... أزمة المازوت... الخصخصة... الفساد... انقطاع الكهرباء... أزمة الغاز... ارتفاع الأسعار الخ... في الصورة كاريكاتير ساخر عن ارتفاع أسعار الفروج، منشور في جريدة قاسيون العدد 119 تشرين الأول 1989.



### بيع مخطوطة نادرة لشكسبير

بيعت مخطوطة نادرة للكاتب المسرحي شكسبير مقابل 10 ملايين دولار، لتصبح أعلى عمل أدبي يتم عرضه في مزاد، وذكرت وسائل الإعلام: أن المجموعة المكونة من 36 مسرحية، والتي نُشرت بعد وقت قصير من وفاة الكاتب المسرحي شكسبير، هي واحدة من خمس نسخ كاملة فقط لا تزال في حيازة الأشخاص. وتعتبر من أهم مجموعات الأدب في اللغة الإنجليزية. تحتوي على 18 عملاً لم يكن مطبوعاً من قبل، وكان من الممكن أن تضيع في التاريخ. نُشر الكتاب عام 1623 من قبل الممثلين جون همنج وهنري كونديل، أصدقاء الكاتب، وحمل الكتاب عنوان «الكوميديا والتاريخ والمآسي».



### طفل يكتشف آثار ديناصور

اكتشف الطفل الصيني روي روي البالغ من العمر 5 سنوات آثار أقدام ديناصورات، عندما أخبره جده عن وجود العديد من «آثار أقدام الدجاج» على الصخور خلف منزلهم، ما أثار اهتماماً من هذا الطفل الذي أحب الديناصورات منذ طفولته. وبعد فحص آثار أقدام الدجاج في الموقع المذكور، حكم الطفل فوراً على أنها كانت آثار الأقدام للديناصورات. وأكدت جامعة الصين لعلوم الأرض، على صحة حكم الطفل بعد مشاهدة الصور الملتقطة لآثار الأقدام. وحكم الخبراء على أنها تنتمي إلى ديناصورات عاشت في العصر الطباشيري المبكر، أي قبل حوالي 130 مليون سنة.

## للانتساب لحزب الإرادة الشعبية بجميع المحافظات.. نرجو الإتصال على الأرقام التالية:

المحافظة	الإسم	الهاتف	دمشق وريفها	محمد عادل اللحام	0944484795	طرطوس	صلاح معنا	0999725141	الحسكة	حمدالله ابراهيم	0999212404
درعا	خالد الشرع	0968844820	حمص	محمد زهري زهرة	0933145891	حماة	أنور أبوحماسة	0933763888	حلب	جمال عبدو	0933796639
السويداء	وائل منذر	0935662555	اللاذقية	صلاح طراف	0988386581	دير الزور	زهير المشعان	0932801133	الرقبة	محمد فياض	0945817112

«تم إغلاق تحرير هذا العدد يوم الأحد 18/10/2020» «قاسيون» اصدرها الشيوعيون السوريون بناءً على قرار المؤتمر الاستثنائي للحزب الشيوعي السوري في 18/12/2003

قاسيون ناطقة باسم حزب الإرادة الشعبية بقرار المؤتمر التاسع الاستثنائي في 03/12/2011

## التنمية البشرية

# قصة نجاح في بيع الوهم



أن الغرض من كتابه تعليم الناس كيف تخسر أو كيف تتصالح مع الخسارات، دون أن تشكل الخسارة مصدر قلق كبير بالنسبة لها. ويضيف أيضاً: بأننا في الحقيقة نعيش دائماً على قدر من عدم الرضا لأن من شأن الكائن غير الراضي وغير الآمن أن يبذل المزيد من الجهد ويحارب من أجل بقائه، فالألم بصورة أو أخرى وسيلة لدفع الجسد للفعل.

### سوق التنمية الذاتية

في الوقت الذي تجد فيه دور النشر صعوبات في جذب القراء للاهتمام بالشعر والكتب النقدية، نرى منشورات التنمية البشرية وحركة الترجمة المرتبطة بها في تزايد مستمر، وكذلك الأمر فيما يتعلق بعدد المشاهدات الضخمة لمدرسي التنمية البشرية على اليوتيوب. إذ تشير بعض التقديرات إلى أن سوق التنمية الذاتية وصل عام 2018 في الولايات المتحدة الأمريكية إلى 11 مليار دولار، بحيث تزايدت نسبة أرباح هذا القطاع بمعدل 2% عما كان عام 2016. ويتضمن ذلك مجالات التدريبات العملية والكتب المكتوبة والصوتية، وغير ذلك من محتويات إعلامية ومؤلفات تصب في ذات المجال.

يريد الناس أن يصدقوا بأنهم قد يمتلكون زمام الحل لمشكلاتهم، هم يريدون الاقتناع بأن تغيير عقليتهم وأنماط تفكيرهم كاف لتغيير العالم من حولهم، وهذا ما يبرر ربما شعبية تيار التنمية البشرية. فروادها ومنظروها يتغذون على أحلام الناس الفقراء، الأقل حظاً، الأكثر حزناً، والأقل ثقةً بالنفس. لذلك يبدو أن هؤلاء، بعد كل اعتبار، يمتلكون نوافذ في منازلهم، ويدركون تماماً صورة العالم في الخارج، وهذا ما يجعلهم الأقدر على معرفة «البضاعة الرائجة» التي يمكن بيعها.

يمتصون طاقتك ويعيقونك عن تحقيق أحلامك، وقد تتفاجأ من طول القائمة التي تتضمن الأشخاص الترجسيين، والمسيطرين، والثرائيين، وملوك الدراما، والمنتقدين لسلوكك، وحتى أولئك الذين يتظاهرون بالبراءة أو بكونهم ضحايا. وبالطبع لا يبخل كاتب المقال بشرح آلية التعامل الصحيحة مع كل نمط من هؤلاء بوصفات نافعة ومجربة، تتضمن عادة تجاهلهم وتقليص الاحتكاك بهم، وعدم الاستماع لما يريدون قوله. وعلى الرغم من أن المقال يضيء على صفات وسلوكيات لا بد أن تكون مزعجة ومؤثرة، لكن الخطير فيه هو: التصنيف السطحي لأنماط الشخصيات من جهة، وحث الناس على الابتعاد عن أي شخص قد «يعتكن عليهم حياتهم» أو يصدر لهم مشاعر سلبية بقصد أو غير قصد، فكل ما يهم في التحفيز الذاتي، «الذات» وكل من يفتني عليها ويدللها.

### جماهيرية التنمية البشرية

بالرغم من أن الناجحين الأغنياء لا يشغلون أنفسهم بقراءة القصص الخرافية، لكن خبراء التنمية البشرية يريدون لك العيش في حكاية من هذا النوع وتصديقها وتكرارها وقصصها على الآخرين، إلى ما لا نهاية. في كتابه «فن اللامبالاة»، يقدم مارك مانسون نقداً لاذعاً لتيار التنمية البشرية الذي يلاحق الناس أينما تحركوا مطالباً إياهم بأن يظلوا سعداء وإيجابيين وطموحين. ويقول رداً على ذلك: «إن الرغبة في المزيد من التجارب الإيجابية تجربة سلبية بحد ذاتها، والمفارقة، أن قبول المرء تجاربه السلبية هي تجربة إيجابية في حد ذاتها». ويضيف مانسون: بأنه كلما سعيت ليكون إحساسك أفضل طوال الوقت كلما قل شعورك بالرضا. ولذلك يرى المؤلف:

**يريد الناس أن يصدقوا بأنهم قد يمتلكون زمام الحل لمشكلاتهم وأنماط تفكيرهم كاف لتغيير العالم من حولهم ما يبرر شعبية تيار التنمية البشرية**

قد يظن المرء بأن السنوات القليلة الماضية، بما فيها من جرعة واقعية، وأحداث فاسية، كانت كافية لكس جميع الخطابات الرائجة حول التحفيز الذاتي والبرمجة اللغوية العصبية. فأي شخص منا لا بد أن يكون قد استنتج أن استراق النظر من نافذة ما في هذا العالم، فعل كافٍ - رغم بساطته وبدهيته- للإدراك بأن ما يحصل خارج ذاته، وخارج نطاق إمكاناته وأحلامه، مهيمٌ وطاغٍ وعنيف بصورة لا تحتمل. استراق النظر للمصائب التي تحدث في خارج كفيلاً لإقناعه بالإقلاع عن عادة الوقوف أمام المرأة وتكرار عبارة: «تستطيع فعلها، تستطيع النجاح، أحب نفسك»، كما لو أن تلك تعويذة مجربة للنجاح. لكن لا، وكما يبدو دعاء التنمية الذاتية لا يملكون نوافذ في منازلهم.

### ■ نور ابو فراج

#### خرافات ووصفات مجربة

يقوم مبدأ البرمجة اللغوية العصبية، وفق مريديه، على تغيير أفكارك السلبية المترسخة في عقلك الباطن، واستبدالها بأفكار إيجابية محفزة. فأنت عبر تركيز أفكارك الإيجابية تستطيع منح السماء من أن تمطر حينما لا تريد أن تبطل، وتتمكن من جعل الماء رائقاً في كأس زجاجية، إن كانت روك «شفافة» أيضاً بدرجة كافية. ومن أجل جعل الآخرين يحبوك يكفي أن تتبع قاعدة المطابقة؛ أي: أن تقلد حركات الشخص ونبرة صوته ولغته الجسدية، دون أن يفطن هو لذلك، بحيث يتمام معك وتصبح دون أن يحس النموذج الذي يتوق كي يكونه.

يهتم هذا التيار أيضاً بكشف الستار عن عالم الأغنياء، والتسلل إلى عقولهم لمعرفة كيف يفكرون وماذا يفعلون على اعتبار أنك إذا قلدت الأغنياء ستصبح ذات يوم مثلهم. يمكن للقارئ الوقوع على مقال يحمل عنوان: «ماذا يقرأ الأثرياء؟» وتأتي الإجابة: «الروايات العاطفية، والقصص الخيالية ليست بالتأكيد ما يقرؤه الأثرياء، وإنما يقرؤون كتب

القيادة، كتب التنمية الذاتية، السير الذاتية، النصائح الحياتية في مختلف المجالات، الأخبار والأحداث الجارية».

تتوالى الفيديوهات والمقالات التي تكشف أهم أسرار وعادات كل شخص ناجح، ومنها مثلاً: عدم اعتماده على مصدر واحد للدخل. للوهلة الأولى قد يصرخ القارئ: «وأخيراً لدي عادة مشتركة مع الأغنياء» فهو أيضاً قد يعمل استاذاً في المدرسة صباحاً وسائق تكسي ليلاً، لكن قبل أن يتسرع في أحلامه يستنتج أن فلاسفة التحفيز الذاتي يتحدثون عن مصادر دخل من نوع مختلف، كفوائد القروض، وتأجير العقارات، وحقوق الملكية من المؤسسات الفكرية، أو الأسهم في الشركات. ومن النصائح التي لم تخطر على بال، الامتناع عن مراكمة الديون، عدم إظهار الغنى والامتناع عن مظاهر الإسراف ككثراء السيارات الباهظة، إلى جانب التحلي بالصبر وهذا أمر لا تعرفه عزيزي الفقير، فأنت كما يبدو جاهل بفنون الصبر.

ومن المقالات السامة التي قد تقرأها أيضاً ضمن ذات المجال، تلك التي تتصكح بالابتعاد عن الأشخاص الملقين بـ «مصاصي الدماء العاطفيين» أو الأشخاص السلبيين الذين